أـ

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

شعر علي البتيري _ دراسة موضوعية وفنية_

Poetry of Ali Al-Battery

Thematic and technical study

إعداد:

محمد سليمان سالم النصّار

الرقم الجامعي: ٠٤٢٠٣٠١٠٢٠

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
أ.د محمد الخزعلي(مشرفا ورئيسا)	.....
أ.د نبيل حداد	.....
أ.د زياد الزعبي	.....
د. عبد الباسط مراشدة	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصى بإجازتها بتاريخ٢٠٠٩/٥/٢٠م

العام الجامعي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م

الإهداء :

إلى أبي العزيز.....

..... وأمي الحنون

إلى رفيقة العمر..... زوجتي الغالية

إلى زيد ولدي الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد:

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للمشرف على هذا البحث الدكتور محمد الخزعلي، على ما قدم لي من توجيه وإرشاد ونقد بناء.

كما وأشكر أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل على منحهم هذه الدراسة جلّ وقتهم، وعلى ما يقدمون من ملاحظات نقدية بناءة يفيد منها الباحث في مسيرته العلمية إن شاء الله تعالى.

كما وأشكر الشاعر علي البتيري لما قدمه لي من تسهيلات في الحصول على دواوينه الشعرية، وأتمنى له الشفاء والسلامة .

وأتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في نجاح هذا البحث ، وجازاكم الله كل خير.

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٤
الفصل الأول: دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للكبار	١١
أولا: مظاهر حياة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة	١٢
ثانيا : حياة اللاجئين في المنفى	٢٢
ثالثا: الصمود والانتفاضة	٣٠
رابعا: حلم العودة	٤٣
الفصل الثاني : دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للأطفال	٦١
موضوعات الشعر الموجه للأطفال عند البتيري	٦٥
أولا : الشعر الوطني	٦٦
ثانيا : الشعر الاجتماعي	٨٠
ثالثا: الشعر التعليمي	٨٦
رابعا: قصص شعرية	٩٢
الفصل الثالث: الدراسة الفنية في شعر علي البتيري	٩٧
أولا : الصورة الفنية المفهوم والتطبيق في شعر علي البتيري	٩٧
ثانيا : الرمز في شعر علي البتيري	١٠٩
ثالثا: اللغة والموسيقى	١٢٢
الخاتمة	١٣٦
قائمة المصادر والمراجع	١٣٨
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	١٤٦

ملخص الدراسة

شعر علي البتيري دراسة موضوعية وفنية

هدف هذا البحث إلى دراسة الشعر عند علي البتيري من الوجهتين الموضوعية والفنية، وأشار إلى أنه لا يوجد دراسة شاملة ومتخصصة بشعر علي البتيري، وكل ما كتب عن شعره إشارات متناثرة في بعض الكتب والمقالات الصحفية.

وفي هذا البحث، تمت دراسة شعر الشاعر من حيث المواضيع التي تناولها في شعره الموجه للكبار، وشعره الموجه للأطفال، ودراسة الظواهر الفنية من حيث الصورة الفنية والرمز واللغة والموسيقى الشعرية، وعمل البحث على تقديم إجابات عن أسئلة تتعلق بشعر علي البتيري من حيث الظواهر الموضوعية والفنية.

وإن دراسة الظواهر في شعر البتيري فرضت تقسيم البحث إلى تمهيد ومقدمة وثلاثة فصول، أما الفصل الأول وعنوانه" دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للكبار"، فقد تناولت فيه أهم الموضوعات التي عالجها الشاعر والتي تتمحور حول وطنه فلسطين، والفصل الثاني وعنوانه" دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للأطفال"، تناولت فيه أهم الموضوعات التي عالجها الشاعر في شعر الأطفال، وجاءت على أربعة موضوعات رئيسة وتتفرع مضامين خاصة بكل موضوع، أما الفصل الثالث وعنوانه" الدراسة الفنية في شعر علي البتيري" وتناولت في هذا الفصل ثلاثة مباحث، الأول كان يدور حول مفهوم الصورة الفنية، ومدى تطبيقها في شعر الشاعر، وما دلالاتها وعناصرها، والثاني كان يدور في فلك الرمز، وكيفية استخدام الشاعر له على صعيد اللفظة المفردة، أو الرمز الديني، أو الرمز التاريخي، وبيان ما توحي به الرموز، وأهم ملامحها في شعر الشاعر، والثالث كان يجول في عالم اللغة، من بناء سردي، وبناء حواري، وموسيقى خارجية وداخلية، وبيان ما عملت عليه الموسيقى من جرس وغنائية في شعر البتيري، وخاتمة تضمنت ما خلص له البحث، وآمل أن يكون هذا البحث عونا لكل من يبحث في هذا الموضوع.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الشاعر"علي البتيري" شاعر أردني له حضوره على الساحتين الأردنية والعربية، إذ يتميز إنتاجه الشعري من حيث الكم والنوع، كما أن له عدداً من القصائد أقرتها وزارة التربية والتعليم تدرس في الكتب المدرسية لرصانتها وجودتها، وكما أنه حصل على عددٍ من الجوائز وشهادات التقدير من مؤسسات ثقافية وعلمية متنوعة، وقد بدأ يكتب الشعر منذ شبابه وحتى يومنا، وقد أصدر ثلاثة عشر ديواناً، وقد اطلعت على نتاجه الشعري، ولفت انتباهي مجموعة من الظواهر الموضوعية والفنية، وقد أثارت هذه الظواهر مجموعة من الأسئلة، فحاولت الإجابة عنها في هذا البحث الذي اخترت له عنوان" شعر علي البتيري دراسة موضوعية وفنية"، وهذه الأسئلة هي:

- إلى أي مدى أثر التكوين الاجتماعي والثقافي في شعر علي البتيري؟
- ما الموضوعات التي عالجها في الشعر الموجه للكبار ؟
- ما الموضوعات التي عالجها في الشعر الموجه للأطفال ؟
- ما طبيعة البناء الفني (الصورة الشعرية، والرمز، واللغة)، وما دلالته ودوره في شعره؟

ويعود اختياري لهذا الموضوع؛ لتسليط الأضواء على شاعر امتاز بتنوع إنتاجه الشعري وغزارته، ولبيان مدى التفاعل بين شعر البتيري وحركة الواقع المعيش، ولكونه يعبر عن قضية الأمة من خلال أشعاره، هذه القضية التي حازت على النصيب الأكبر في شعره، ولم أجد ـ حسب علمي ـ كتابا أو رسالة جامعية تعالج شعر علي البتيري، سوى ذكر للقصائد أو للشاعر في بعض الكتب والمقالات، منها: كتاب عبد الله الخباص بعنوان" القدس في الأدب الحديث في فلسطين والأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٨٤م في الشعر والقصة والرواية والمسرحية"، حيث ورد ذكر قصيدة للشاعر من باب ذكر لفظة القدس في القصيدة، ومقالات متناثرة في الصحف المحلية والعربية، منها: لعباس عبد الحليم عباس" البنى الصورية في ديوان شبابيك أتعبها الانتظار" في جريدة الدستور، و لمحمد القيسي، " من غربة كنعان حتى وعي المنفى – قراءة انطباعية في ديوان " المتوسط يحضن أولاده" في جريدة الرأي الأردنية ، حمودة زلوم، " ديوان أطفال فلسطين يكتبون الرسائل للشاعر علي البتيري"، صحيفة الشعب الأردنية، ولأحمد الكواملة،" قصيدة الطفل

عند الشاعر علي البتيري، صحيفة الشعب الأردنية، ولعبد الله الشحام،" قراءة في لوحات تحت المطر"، في جريدة عمان المساء الأردنية، ولأمينة العدوان،"لوحات تحت المطر محاولة لاستكشاف واستيطان وجه الإنسان والوطن الدامي"، في صحيفة الرأي الأردنية، ومقالة علي عيسى، في أخبار الأسبوع الأردنية.

أما عن منهج الدراسة، فإن الدراسة تطلبت إتباع عدد من الخطوات التي تتمثل في قراءة الإنتاج الشعري لعلي البتيري، ورصد الظواهر الموضوعية، والظواهر الفنية، وتحليل الظواهر وبيان أبعادها ودلالاتها، والتعليل والتفسير، والاستفادة من المنهجين الجمالي والاجتماعي.

وقد فرضت الظاهرة المدروسة، والأسئلة التي ولدتها تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، فالتمهيد تناول نشأة الشاعر علي البتيري وتكوينه الاجتماعي والثقافي، وبدايته الأدبية، وأهميته الشعرية.

والفصل الأول وعنوانه" دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للكبار"، فقد تناولت فيه أهم الموضوعات التي عالجها الشاعر والتي تتمحور حول وطنه فلسطين وهي أربع موضوعات: الأول بينت فيه مظاهر حياة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة كما صورها الشاعر، من خيام وجوع وفقر، والثاني تناولت فيه حياة اللاجئين في المنفى وما يتعرضون له من تشريد وحزن وترحل دائم، والثالث تناولت فيه مظاهر الصمود والانتفاضة التي رسمها الشاعر لأبناء فلسطين عبر سني الاحتلال، والرابع أجملت فيه ديمومة حلم العودة الذي رافق الفلسطيني عبر مراحل حياته حتى ورثه للأجيال، مبينا رؤية الشاعر من خلال هذه الموضوعات.

والفصل الثاني وعنوانه" دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للأطفال"، تناولت فيه أهم الموضوعات التي عالجها الشاعر في شعر الأطفال، وجاءت على أربعة موضوعات رئيسة وتتفرع مضامين خاصة بكل موضوع، فالأول في الشعر الوطني وفيه برزت أهمية القضية الفلسطينية في أن يعرفها الأطفال، وأهمية تكريس مفاهيم الوحدة العربية في عقول الجيل القادم، والثاني في الشعر الاجتماعي حيث يبرز عددا من القيم الاجتماعية التي تهم الأطفال؛ لترسخ في عقولهم ويتمسكوا بها، ومنها: الاعتزاز باللغة العربية، وتكريم اليد العاملة، ويوم الأم...، التي برزت ضمن أسلوب شيق وموسيقى عالية، والثالث في الشعر التعليمي الذي يخرج بالمعلومة من قالب الدرس الجامد إلى قالب الشعر المغنى، ومنها: قواعد المرور، واستقبال العام الدراسي، وأهمية المكتبة..، وبأسلوب ممتع، والرابع حول عدد من القصص الشعرية التي تحمل موضوعات مختلفة.

والفصل الثالث وعنوانه" الدراسة الفنية في شعر علي البتيري" وتناولت في هذا الفصل ثلاثة مباحث، الأول كان يدور حول مفهوم الصورة الفنية، ومدى تطبيقها في شعر الشاعر، وما دلالاتها وعناصرها، والثاني كان يدور في فلك الرمز، وكيفية استخدام الشاعر له على صعيد اللفظة المفردة، أو الرمز الديني، أو الرمز التاريخي، وبيان ما توحي به الرموز، وأهم ملامحها في شعر الشاعر، والثالث كان يجول في عالم اللغة، من بناء سردي، وبناء حواري، وموسيقى خارجية وداخلية، وبيان ما أضافته الموسيقى من جرس وغناء في شعر البتيري.

أما الخاتمة فقد اشتملت على ما خلصت له من الدراسة، وسلطت الأضواء على خصوصية شعر البتيري على صعيد الشعر الموجه للكبار، والشعر الموجه للأطفال، ومواكبته لحركة التجديد.

وأخيرا فإن هذا البحث جهد في طلب العلم، ويحدوني الأمل أن يكون قد أجاب عن بعض الأسئلة التي تعترض الباحث في مثل هذا الموضوع، وأن يكون قد فتح الأفق أمام أسئلة أخرى تنتظر الإجابة من الباحثين.. " وفوق كل ذي علم عليم".

التمهيد : الشاعر نشأته وأهميته الشعرية

أولا: التكوين الثقافي والاجتماعي للبتيري

ـ اسمه وولادته : علي محمد البتيري ، ولد في قرية بتير في محافظة القدس سنة ١٩٤٥م، عاش في ظل أسرة صغيرة وكان والده يعمل في مقلع حجارة في القرية.

ـ التعليم والعمل والثقافة : *

درس علي البتيري المرحلة الابتدائية في مدرسة القرية (بتير)، ثم تابع دراسته الإعدادية في مدرسة (بيت جالا) والمرحلة الثانوية في مدرسة (بيت لحم) ، وحصل على دبلوم معهد معلمين سنة ١٩٦٤م.

عمل في التدريس بداية في مدرسة السلط الثانوية، وإلى جانب عمله في التدريس عمل في الصحافة في الأردن، وفي بعض دول الخليج العربي، ومن خلال عمله في الصحافة أشرف على تحرير عدد من المجلات مثل :(مجلة سامر، ومجلة الكرتون العربي، ومجلة الشرطي الصغير)، وعمل عضوا في هيئة تحرير مجلة (وسام)، ومجلة (براعم عمان)، ومستشار تحرير لصحيفة (زها) التي يصدرها مركز زها الثقافي للأطفال في الأردن.

إن أول مكون لثقافة البتيري هو ما كان يسمعه من والده من قصائد وسير شعبية؛ إذ كان والده يجمع أولاده في المساء ويقرأ عليهم بعض السير المكللة بالقصائد، وامتاز في تلك الفترة بحفظ الكثير من الأبيات التي ترد في السير، و القراءة التي كان لأحد أصدقائه في مرحلة الدراسة الإعدادية الفضل في حثه عليها حيث كان يعيره بعض الكتب الأدبية والقصص التي كان يستعيرها أو يستأجرها، فيذكر أن أول قصة قرأها كانت قصة"مجدولين" من تعريب مصطفى لطفي المنفلوطي، ثم تسنى له المجال الأوسع للقراءة والحصول على الكتب في معهد المعلمين من مكتبة المعهد ، حيث حصل على الدواوين الشعرية قديمها وحديثها، وكان في هذه الفترة متأثرا بالمتنبي وأبي العلاء المعري وأبي تمام ، ثم تأثر بالبارودي وأحمد شوقي، ثم تولع

---

* لقاء مع الشاعر علي البتيري في ٢٠٠٧/٧/١٤م

تجديد السياب والبياتي إلى أن وجد الشاعر صوته المميز في كتاباته الشعرية والأدبية عامة.

وللعمل في التدريس والتعامل مع الأطفال أهميته في تنمية ثقافة الشاعر، من حيث إحساس الشاعر بهذه الفئة واحتياجاتها، فمن خلال التعامل المباشر معهم أصبح يكتب الشعر المختص بعالم الطفل، وفي نهاية عمله في التدريس عمل البتيري أمينا للمكتبة، مما أتاح له الفرصة لتعميق هذه التجربة من خلال عقد الاجتماعات مع الطلبة والمعلمين، وعرض القصائد عليهم لاختبارها والتأكد من جودتها وملاءمتها لاحتياجاتهم.

ولعمل البتيري في صحافة الأطفال الأثر الواضح في نمو ثقافته وخاصة في مجلة(وسام) وغيرها من المجلات، فقد مكنته من متابعة مشاركاتهم التي عملت على فتح الأفق أمام البتيري لقراءة أفكارهم وهواجسهم، فالعمل في هذا النوع من الصحافة وسع نطاق ثقافة البتيري الفكرية المختصة بالأطفال، وعمّق التجربة الشعرية التي يتوجه بها نحوهم، ويؤكد البتيري مدى تأثير هذا العمل الصحافي في إبداعه، فيقول : " لقد تسنى لي حقيقة في هذه الأجواء الملائمة والممتعة قراءة أفكار الأطفال وهواجسهم وقضاياهم وأصبحت أكثر قدرة على تقمص فكر الطفل ووجدانه ولغته، فأصبحت أدخل من باب الشعر إلى عالم الأطفال بعقل وشعور ولغة الطفل الصغير وأعود من عالمهم بعقل وشعور الكبير الذي لابد وأن يكون قد أبدع لهم شيئا يستحق منهم الاهتمام ". [١]

ـ بداية أعماله الأدبية : *

كانت بداية المحاولات للكتابة الأدبية مبكرة لدى الشاعر،أي منذ أن كان في مرحلة التعليم الابتدائي إذ يقول:" في نهاية المرحلة الابتدائية من دراستي في مدرسة القرية صرت أشعر برغبة في تقليد الشعر المحكي الذي كنت أسمعه من والدي في قراءته للسير الشعبية أو في إحيائه للسامر في أعراس القرية وكتبت شيئا من الأزجال العامية لم ألبث أن عزفت عنها ونسيتها دون أن أدري بأنها كانت محاولات مني لكتابة شيء من الشعر"[٢]، ومن هنا تبين محاولات الشاعر العفوية في ولادة الشعر منذ الصغر .

---

(١) علي البتيري، **تجربتي في شعر الأطفال**، أوراق الملتقى الثقافي السادس، مؤتمر أدب الطفل الدولي، الجامعة الهاشمية الأردن ٢٠٠٦م.

(٢) علي البتيري، "**هل أنا شاعر**" ، في **عروش الروح، شهادات إبداعية**، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان وزارة الثقافة كتاب الشهر ٥٧عام ٢٠٠٢م.ص١٣٦

وقد تقدمت المحاولات في كتابة الشعر مع تقدم تعليمه ففي مرحلة الدراسة الثانوية أفاد من تعلمه لعلم العروض مما دعاه لمحاولة كتابة الشعر الموزون المقفى إذ يقول:" لا أستطيع أن أصف فرحتي الكبيرة كيف غمرتني حيث نجحت في كتابة أول قصيدة موزونة على البحر المتقارب حيث هزت مشاعري وأيقظت عاطفتي الوطنية القومية رسالة مصالحة أرسلها الملك حسين إلى جمال

عبد الناصر فاستجاب لها الثاني وردّ عليه بمثلها، وما زلت أذكر شيئا من تلك القصيدة : أيا قوم هبوا لنقر الدفوف وشدوا الأغاني وضرب الوتر

لقد جاء يوم التصافي ونجم التضامن ها قد ظهر [١]

ومن هنا كانت الخطوة الأولى في عالم الشعر التي تلتها دراسته في معهد المعلمين حيث وجد التشجيع، مما دعاه للمساهمة في نشاط المعهد الثقافي، وهذا ما حفز في نفسه متابعة التجربة إلى وصلت عالم الوجود، ويقول الشاعر:" وفي دار المعلمين أخذت التجربة تتبرعم وتنمو على الورق، ولعل بعض الاستحسان والاهتمام الذي كنت أجده عند بعض المعلمين والطلاب كان يعزز ثقتي بما أجرب أن أكتب، ويحفزني على الاستمرار في المحاولة والتجريب ويخرجني من سجن الخجل الانفرادي الذي كنت أضع نفسي فيه ولا أفكر في الخروج منه حتى ولو كان بابه مفتوحا وحارسه نائما"[٢]، وكذلك ظهرت موهبة كتابة عمل أدبي آخر أثناء دراسته في المعهد فقد قام بكتابة مسرحية (مطعم رمضان) وقام بتمثيل دور البطل فيها، وكان لأداء هذه المسرحية حسب ما يرى الشاعر الفضل في حل عقدة الخجل والخوف من مواجهة الجمهور.

بعد العمل في التدريس بدأ الشاعر بنشر أعماله الأدبية فكان أولها مقالة نشرت في جريدة الجهاد تحت عنوان (شموع على طاولة البحث) وقصائد في جريدة الدفاع، ونشر قصيدة (إليك يا نزار) في ملحق جريدة الأنوار اللبنانية ردّا على قصيدة نزار قباني (هوامش على دفتر النكسة) حيث كانت مفتاح تعارفه مع الأديب غسان كنفاني، وأما نشره لديوانه الأول فقد حاول الشاعر أن ينشر ديوانه تحت عنوان (خطوات في ليل القدس)، إلا أن هذا الديوان بقي مركونا على رفوف دار العودة في بيروت ولم يصدر، وكرر شاعرنا المحاولة حتى أصدر ديوانه الأول (لوحات تحت المطر) في المطبعة الأردنية عام ١٩٧٣م وقدم له الدكتور هاشم ياغي.

---

[١]) المرجع السابق ص ١٦٤.

[٢] المرجع السابق ص١٦٦.

* حوار للشاعر مع صحيفة صوت الشعب الأردنية ١٩٨٣/١٠/٨م.

ـ أثر نكبة١٩٤٨م، ونكسة ١٩٦٧م على حياة علي البتيري

ـ نكبة ١٩٤٨م

إن الشاعر الذي ولد سنة ١٩٤٥م لم يكن بمنأى عن الأحداث الراهنة، فقد عاش في أسرة فلسطينية تعرضت بلادها إلى العدوان الصهيوني، وما رافقه من قرارات مجحفة بحق الفلسطينيين؛ فها هو والده يسد شبابيك المنزل بالحجارة كي لا ينسفه اليهود، وها هم أبناء الشعب الفلسطيني يرحلون عن ديارهم مشتتين دون وجهة معروفة، وقرار التقسيم وقد أدى إلى تقسيم قرية علي (بتير) إلى قسمين تفصلهما أسلاك شائكة، وكان من نتائج هذه الحرب نزوح الأسر الفلسطينية، ومن ضمنها أسرة علي التي نزحت إلى مغارة في بيت جالا، ثم إلى الخيام حيث أن جده قد مات تحت خيمة سقطت عليه وهو مريض فخنقته.

ـ نكسة١٩٦٧م

جاءت حرب عام ١٩٦٧م، فعملت على زيادة المعاناة خاصة أنه قد ازداد عدد النازحين نتيجة اتساع رقعة الأراضي الفلسطينية التي وقعت تحت السيطرة الصهيونية، فهذه المأساة عانى منها شعب شُرِد من بلاده، وكان لهذه الحرب الأثر الأكبر في نفس الشاعر، إذ يذكر أنه تعرض للاعتقال سنة ١٩٦٨م بسبب ديوان شعر له لم يصدر؛ حيث قامت سلطات الاحتلال بمصادرته، فيقول: " وفي الحقيقة لم يكن ديوان(خطوات في ليل القدس) هو الديوان الأول المخطوط، وإنما كنت قد أعددت قبله ديوانا بعنوان (حب وأسلاك شائكة) صادرته سلطات الاحتلال الإسرائيلي مع مسرحية شعرية بعنوان (سواعد عربية) صورت فيها تحرير فلسطين على يد الجيل العربي القادم، وتمت مصادرة الديوان والمسرحية وكل ما هو مكتوب على ورقة حين تعرضت للاعتقال عام ١٩٦٨م في أول زيارة للقرية بعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧م، ومنعت من الضفة الغربية لمدة تزيد عن اثنين وثلاثين عاما؛ لأدفع ضريبة الشعر من عمري حتى حرمت من رؤية والدي ـ رحمه الله ـ وهو على فراش الموت"(١)، إن هذا الحرمان من العودة، ومن رؤيته لبلاده كل هذه الأعوام ألم جعل الشاعر يكرس شعره لخدمة قضية أمته.

وكان لصورة والده الذي مات على فراشه يصارع المرض ولم يسمح له الحضور إليه فضلا عن عيشه غريبا طيلة هذه المدة بعيدا عن بلده الأثر الواضح في حياته، فكان الحنين

---

(٢) علي البتيري، **"هل أنا شاعر"** ، في **عروش الروح، شهادات إبداعية**، مرجع سابق، ص١٦٩.

شديدا إلى مسقط الرأس وإلى ذكريات الطفولة، وأفرز حلمه وحلم كل فلسطيني بالعودة إلى وطنه؛ مما دعاه إلى غرس حب الوطن في قلوب الأجيال القادمة.

ثانيا: النتاج الأدبي للبتيري : *

- الأنواع الأدبية:

لقد تنوع النتاج الأدبي للشاعر علي البتيري، فقد أصدر ثلاثة عشر ديوانا شعريا هي: لوحات تحت المطر١٩٧٣م، والمتوسط يحضن أولاده ١٩٨١م، والقدس تقول لكم١٩٨٣م، وأطفال فلسطين يكتبون الرسائل ١٩٨٦م، وفلسطين يا أمي ١٩٨٦م، وصوت بلادي ١٩٩٠م، والجد والأحفاد ١٩٩٢م، وشيخ فلسطين ١٩٩٧م، والعصفور الغريب وحكايات أخرى ١٩٩٧م، ومهند يرفع العلم١٩٩٨م، ولماذا رميت ورود دمي٢٠٠٢م، وشبابيك أتعبها الانتظار٢٠٠٤م، ونحن المستقبل٢٠٠٦م، وهذا الإنتاج الشعري خص الشاعر فئة الأطفال بعدد ليس بقليل منه فكان له بصمات واضحة في أدب الأطفال في الوطن العربي .

وتميز البتيري منذ أن بدأ نشر قصائده بجمالية الصورة، فها هو ديوانه الأول (لوحات تحت المطر) يكتب فيه عدد من المقالات النقدية في الصحف، فمنها المعجب بالديوان، ومنها المحلل، ويؤكد الشاعر أنه قد مر في عدة مراحل في كتابته للشعر، وأن تميز صوته الشعري إنما تكرس منذ أن أصدر الديوان الثاني (المتوسط يحضن أولاده).

لقد كتب علي للوطن ولقضية الشعب المنفي المشرد عن وطنه، وكتب للأطفال، بل يعد علي البتيري من المؤسسين لأدب الأطفال في الأردن، حيث إن نتاجه في هذا المجال زاخر بالقصائد والمسرحيات، وكذلك عمل البتيري في صحافة الأطفال، ومنها: مجلة سامر، ومجلة الكرتون العربي، ومجلة الشرطي، ومستشار تحرير صحيفة (زها) الصادرة عن مركز زها الثقافي / عمان - الأردن، وما سلف ذكره.(١)

---

(١) يوسف عيسى حمدان، **أدباء أردنيون كتبوا للأطفال في القرن العشرين**، دار الينابيع، عمان،١٩٩٥م.ص ١٩٥.

* راجع: يوسف عيسى حمدان، **أقحوان على ضفاف النهر الرحلة والقيثارة، شخصيات أدبية معاصرة**، عمان وزارة الثقافة .ج٢، ٢٠٠٥م.

وإلى جانب كتابة الشعر، عمل البتيري في الصحافة، فهذا ما أتاح له كتابة المقالة في عدد من الصحف المحلية والعربية، وقد أصدر أيضا عددا من الأعمال المسرحية التي كان منها : سواعد عربية، ومرج العرايس، طيور الحرية، وأوبريت وطن وأبناء، وأوبريت عمَّان.

وكان للبتيري أعمال غنائية ناجحة حيث شارك في مهرجان الأغنية الأردنية للأطفال لعدة سنوات وحصل على عدد من الجوائز.

- موقع البتيري في الأدب الأردني :

يعد البتيري صوتا شعريا مميزا في الأردن، له إسهامات متنوعة في الأدب حيث برز في الشعر وتوجه للكتابة للأطفال، وشارك في عدد من المهرجانات، والمؤتمرات الأدبية في الأردن منها: مهرجان جرش للثقافة والفنون، ومهرجان الثقافة الأردنية الفلسطينية المشتركة، ومهرجان السلط الشعري الثالث، ومهرجان الرمثا الشعري الخامس، ومهرجان شبيب للثقافة والفنون، والمؤتمرات الوطنية للثقافة في الجامعة الأردنية، والمؤتمر الإقليمي لحقوق الطفل /عمان ـ الأردن، وفضلا عن المشاركات في الوطن العربي، ومن خلال ما قدمه للأطفال كان له الدور الأهم في بروز أدب الأطفال في الأردن.

وتميز البتيري في كتابة بعض القصائد على صعيد أغنية الطفل، فقد حصل على عدد من الجوائز، فقصيدة (كيف أغني) التي شارك بها في مهرجان الأغنية في مملكة البحرين قد حصلت على جائزة المهرجان لجودتها، وكذلك قصيدة (عد لي) التي شارك بها في مهرجان القاهرة الغنائي قد حصلت على أعلى جائزة في المهرجان .

إن التنوع الأدبي عند البتيري وإجادته في هذه الأنواع الأدبية جعل له الحظ الأوفر في الحصول على عدد من شهادات التقدير من مؤسسات ثقافية، وعلمية متنوعة أردنية وعربية، منها: مؤسسة نور الحسين، ومؤسسة عبد الحميد شومان، وأمانة عمان، ووزارة التربية والتعليم في دولة الإمارات، والمهرجانات الأردنية بشكل عام، وكما أن للشاعر عددا من القصائد التي أقرتها وزارة التربية والتعليم في الأردن لتدرس في الكتب المدرسية.

أما قيمته الأدبية ومستواه الفني، فإن الشاعر البتيري منذ ديوانه الأول " لوحات تحت المطر " برز حبه للوطن، وحسن اختياره للكلمة في تصويره معاناة الشعب الفلسطيني، فيقول الدكتور هاشم ياغي في تقديمه لهذا الديوان " شاعر تخطى القرزمة والأشواك التي تدمي المبتدئين وأخذ يغرز سنان الرمح في ليل الهزيمة ليفتح للصبح ينابيع تدر أضواء الخلاص. "

ويقول محمد الظاهر قي مقالة بعنوان "التزام ووعي ويأس" في صحيفة الصباح ١٩٧٣/١٠/١١:" أود أن أذكر :أن الشاعر علي البتيري، لا يكتب الشعر من أجل الترفيه عن نفسه، بل يسبق كل قصيدة، معاناة واضحة تخلف هي القصيدة، وتفرضها على الشاعر فرضا ، ولذلك فإن قصائده بعيدة كل البعد عن الابتذال الذي يقع فيه الكثير من الشعراء الشباب. "

وفي صحيفة الرأي الأردنية في ١٩٨٢/١/٢٢م مقالة لمحمد القيسي بعنوان " من غربة كنعان حتى وعي المنفى قراءة انطباعية في ديوان المتوسط يحضن أولاده" يقول فيها: إن علي البتيري الذي عاد من المنفى أخيرا، عاد بالشعر أيضا، وفي ديوانه هذا " المتوسط يحضن أولاده" الذي صدر مؤخرا في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث في بغداد، يؤكد من جديد على أصالة تجربته الشعرية، وقدرته على امتلاك روح الإبداع."

ويقول حمودة زلوم في صحيفة الشعب الأردنية في ١٩٨٦/٤/٤م حول ديوان الشاعر " أطفال فلسطين يكتبون الرسائل" : فتحية لأطفال فلسطين، وتحية للشاعر علي البتيري الذي استطاع أن ينقل صوتهم بصدق وعفوية ، ليضيف إلى مكتبة الطفل العربي كتابا ذا قيمة ، فيه الكثير مما يربي لنفس على الانتماء والوفاء وحب الوطن والإيمان بالأمة العربية ورسالتها الحضارية، وحتمية بزوغ فجر جديد."

فيما سبق بعض مما كتب عن البتيري، وقد اتسمت دواوينه بالغنائية، والحرص على تنويع القافية، والتزم الشاعر بالشعر الحر، أو شعر التفعيلة، والكشف عن هذه السمات سيكون في الفصول القادمة من الدراسة .

---

(١) علي البتيري، **ديوان لوحات تحت المطر**، ط١، المطبعة الأردنية ، عمان، ١٩٧٣، التقديم ص٥.

الفصل الأول : دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للكبار

لقد مرت القضية الفلسطينية عبر تاريخها السياسي بمراحل متعددة ومنعطفات حادة، منها حرب ١٩٤٨م (النكبة)، وحرب ١٩٦٧م (النكسة)، وانتفاضات الشعب الفلسطيني العديدة قبل عام ١٩٤٨م وبعدها حتى يومنا هذا، والشعر العربي ليس بمعزل عن هذه الأحداث فقد تفاعل مع هذه المراحل، " لذلك سنجد أن مأساة عام ١٩٤٨م قد أوجدت موضوعات، وأحدثت جوانب لم تكن موجودة في الشعر الحديث من قبل...، فاللاجئون وبؤسهم وتشردهم في المهامة والقفار وخيامهم السود وحنينهم للوطن، وأملهم في العودة، موضوعات شعرية جديدة أوجدتها المأساة"[١].

والشاعر علي البتيري صور قضية فلسطين أرضا وشعبا ونضالا وتاريخا؛ فواكب مراحلها و منعطفاتها بل أبدع في تصويرها قضية إنسانية في عالمه الشعري، فالجانب الذي غلب في شعره هو الجانب الوطني القومي، حيث يركز على الوطن وحب الوطن ويعمل على إحياء الروح القومية في نفوس أبناء الوطن، فمن يقرأ هذا الشعر يجده تصويرا لمعاناة شعب أحاطت به مآسي الحياة من كل صوب، ويبث الشاعر روح الأمل في حلم العودة لفلسطين بعد طول غياب في بلاد المنفى، ومن هنا" فإن منظوماته الشعرية تجد دائما خيطا واصلا يضمن لها رؤية كلية متبلورة، إذ تشكل ضفيرة صغيرة متسقة تأتلف من نسيج أيدلوجي متماسك، لحمته الموقف الوجداني للإنسان الفلسطيني بكل منحنياته الحادة، مع التواصل العميق مع إيقاعات الحياة الثقافية العربية"[٢]، وقد برز في شعر البتيري الموجه للكبار عدد من الموضوعات التي تجسد رؤية الشاعر في حب الوطن وهي :

أولا: مظاهر حياة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة

ثانيا : حياة اللاجئين في المنفى

ثالثا: الصمود والانتفاضة

رابعا: حلم العودة

---

[١] كامل السوافيري، مقالة بعنوان:" **مأساة فلسطين مصدر وحي وإلهام في الشعر الحديث، مجلة الآداب**، بيروت،عدد٣،آذار ١٩٦٤م.

[٢] فضل، صلاح، **"خطاب الهوية القومية في الشعر المعاصر في المشرق العربي"**، دراسة في كتاب،الهوية القومية في الأدب العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٩٩م. ص١٥٨.

- أولا: مظاهر حياة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة

استطاع الشاعر أن يرسم صورة الحياة التي يعيشها أبناء فلسطين في الأراضي المحتلة ومدى المعاناة، وهذه بعض مظاهر تلك الحياة، فالمخيمات هي ما خلفه الاحتلال نالت اهتمام الشاعر؛ فقد تحدث عن أحوال الناس من فقر وجوع وخوف، ويعود ذلك لما تحمل ذاكرته من آلام عانى منها الشعب الفلسطيني فأكسبته معينا ينهل منه صوره، حيث " تعد الذاكرة أو الحافظة كما يصطلح على تسميتها النقاد العرب العمود الفقري لعملية الإبداع الفني؛ فهي المستودع الذي يودع فيه الفنان أو الشاعر صوره وانطباعاته وتجاربه، ولعل أهميتها بالنسبة لعمل الشاعر بالتحديد تنبثق من ارتباطها بعنصر المخيلة لديه؛ فمخيلة المبدع هي الشاشة التي تعكس تجربة الشاعر بكل تفصيلاتها وجزئياتها ساعة الإبداع"[١]، ويعود الشاعر بذاكرته ليقول في قصيدة " *خطوات في ليل القدس"* :

الناس ينسلون تحت خيمة المساء

يبحثون عن سكينة ؟

ولم أزل بخطوتي أواكب الصدى

ومقلتاي زورقان مشرعان في شواطئ المدى

وفجــأة على يدي مشاعري

تفتحت قصاصة صغيرة من الورق

صدفتها في شارع البوليس والقلق

علقتها على رموش خاطري

وقد بدت تقاوم الأوحال والنعال

فتحتاها [٢]

---

(١) جهاد شاهر المجالي، **الإبداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي والنقد الحديث**، ط١، دار يافا، عمان الأردن، ٢٠٠٨م ص٨٣

(٢) علي البتيري، **ديوان لوحات تحت المطر**، ط١، المطبعة الأردنية ، عمان، ١٩٧٣، ص٢٤- ٢٥.

هؤلاء أبناء فلسطين يتسللون خلسة من خيمة إلى أخرى يبحثون عن الأمن، فكل من ينتقل ينتابه الخوف والقلق من ذلك الشارع الذي أصبح أسمه شارع البوليس، وما هي المخيمات إلا جوع وفقر وأحوال سيئة؛ إذ أصبح الأهل الأحرار بين الوحل والنعال فهذه مظاهر الهزيمة التي عانى منها الشعب الفلسطيني، ثم يتحدث الشاعر عن ليل القدس المظلم المخيف بعد أن أصبح الأهل في السجون، ويقول الشاعر في القصيدة ذاتها:

الليل في مدينة السلام

نهره من الغزاة ،

وعندما يفيض يكتوي المعذبون

فتشتهي غرائز الجراد لقمة الجياع

والصغار بالرغيف حالمون

وفي الصبح يصعد الدخان والشرار من

مواقد العيون

فتأكل القضبان من أعمارنا

من فؤاد أمنا الحنون [١]

المحتلون الغزاة كالنهر يتدفقون من كل بقاع العالم إلى هذه المدينة المسالمة طامعين غاصبين يريدون نهب خيرات الوطن فهم كالجراد يأكل الأخضر واليابس، ولا يأبهون إلى حال الأطفال الجائعين، هذه الفئة الظالمة التي تحرم الأطفال من رغيف الخبز، وقد أصبح الآباء والأهل بين قضبان الحديد في سجون الاحتلال وتمر السنون وهم بين قضبان سجون الاحتلال، والمحتلون يدمرون ويفسدون في فلسطين ويبنون المستعمرات، "فالشاعر يصور الأعداء الصهاينة بأنهم جراد فحين، تتحرك غرائزهم الوحشية يستولون على طعام الأهل المعذبين في الأرض"[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٢) عبد الله الشحام، **قراءة في" لوحات تحت المطر"**، عمان المساء الأردنية، ١٩٧٣/٩/٢٢.

ويتحدث الشاعر عن أحوال الشعب الفلسطيني في قصيدة " في المنام الأخير":

قلت : من أين ألقى بك الموت ،

عن ظهره في فراشي . .

لتسرق قلبي ؟

فقال : " الذي جاء بي من وراء الظلام ..

هو علمي بأنك في باب جحر الأفاعي تنام

وترجو السلامة ..

هو علمي بأنك في الصبح

بين الثعابين تسعى .. وتنسى بأني هلكت بلدغة أفعى [١]

ويعود الشاعر للحديث عن عيشه وحال شعبه المهزوم الذي يعيش بين أفاعي الاحتلال الصهيوني وأعوانه، فيصف التفاف الصهاينة ومستعمراتهم حول مخيمات الشعب الفلسطيني المقهور المسلوب الأرض والحقوق بحال الذي يضع نفسه في ساحة الثعابين، فوجود الصهاينة يمثل الهلاك لهذا الشعب الذي سلب وطنه وشرد في كافة أنحاء العالم .

وتظهر الهزيمة في النفوس الصامتة التي لا تقوى على الرد والوقوف في وجه العدو الغاصب . يقول الشاعر في قصيدة " الموت العميم ":

إنه الموت يزحف كالنمل

بين الجلود وبين الثياب

فأين المفر ؟ وأين الذهاب . .

وأكفانه خلف أبوابنا تستطيب الجلوس ؟!

---

[١] علي البتيري، **ديوان شبابيك أتعبها الانتظار** . وزارة الثقافة عمان ، ٢٠٠٤، ص٢٦-٢٧.

إنه الموت فينا يوارب باب الحياة . .

بقبضته الجامحة . .

ويرى في النفوس التي تلعق الصمت ،
تربته الصالحة [١]

إن هذا العدو هو الموت وبأعوانه ينمو ويزدهر في الأرض المحتلة بأفعاله الوحشية، فالهزيمة والنفوس المهزومة التي يسيطر عليها الصمت تقف في تخاذل؛ مما جعل من العدو المحتل ينتشر ويتخلل بين أرجاء الأرض المحتلة، فيسأل الشاعر: أين السبيل؟ وأين المفر ؟ للخلاص من هذا الموت الجاثم على أنفاس أبناء الشعب فسيطرة العدو محكمة والسبب في ذلك؛ أن الشعب مهزوم جريح حزين فلا إرادة له ولا عزيمة، وهذا ما يدعو العدو إلى التمركز والتكاثر في بيئة تصلح لإنتاجه وسيطرته، وهذه الأسئلة يستنكر من خلالها الشاعر غفلة الشعب وتخاذله عن الوقوف والتصدي لهذا العدو الغاصب، وانخراطه في مجتمع الهوان، فهنا يشير الشاعر إلى أسباب تمركز العدو الصهيوني وتكاثره؛ ليبعث رسالة لأبناء فلسطين يحثهم فيها على الصمود .

وإشارة لأعمال العدو الصهيوني الذي" يهين ويرفض ويصهر الوطن والمواطن بقضائه على تراث الأمة ودينها وحضارتها بأن يطمس ويلعن التاريخ والحضارة والشخصية العربية"[٢]، يقول الشاعر في قصيدة " *خطوات في ليل القدس"* :

رأيتهم بأم عيني الرؤوم
يجردون الشيخ ساريا إلى الصلاة ، من ثيابه
يوضئون وجهه الجليل من زجاجة النبيذ
يجففون بالسيجار شعر ذقنه
وفوق الشارب المحتل يبصقون

---

(١) المصدر السابق، ص٣٣

(٢) أمينة العدوان، **محاولة لاستكشاف واستيطان وجه الإنسان والوطن الدامي**، صحيفة الرأي الأردنية،١٩٧٣/٩/١٥.

سمعتها شتائما مخمورة
تنصب من كؤوسهم على جدودنا
فقلت يا تراثنا إياك أن تهون ! وقلت يا ترابنا إياك أن تهون ![١]

هذه أعمال الغاصب في بلاد الإسلام فها هم عساكر الصهاينة لا يدعون الشيخ يذهب إلى صلاته بل يتعرضون له بالإهانة والسخرية، وهذه الأعمال الوحشية في تجريده من ثيابه وعدم احترامهم لكبر سنه وعجزه عن رد الإهانة، فزيادة على ذلك تلك الشتائم للأجداد، فهذا تدنيس لكل ما تمكنوا من الوصول إليه، إنها صورة من الواقع تعكس أثر الاحتلال والظلم الواقع على أبناء الشعب الفلسطيني، واستطاع الشاعر أن يرسم من خلال الصور المحسوسة لوحة من الواقع تعبر عن شدة المعاناة، ومدى الحقد الذي يكنه الصهاينة للعرب منذ القدم، وبيان طباع الصهاينة التي تخرجهم عن التعامل الإنساني مع الأبرياء ومنهم فئة الشيوخ كبار السن، فهنا يظهر البعد الأخلاقي للاحتلال الذي يتجردون منه ولا يتعاملون به مع العجزة ممن لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

وقد ظهر التخاذل العربي في تحقيق الوحدة العربية والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني لرد الظلم الواقع عليه، وما يتعرض له من مأساة وألم وحزن متكرر، فيقول الشاعر في قصيدة "لوحات تحت المطر – الريح العربية " :

لكن الساعة ما زالت تتجمد في البرد القارص

والعام يموت من الحزن على قبر العام

والرزنامة تبقى في حائطنا البائس

سوداء السحنة والأرقام

والفرحة تبقى مسبية

إن لم تتسلق جبل الأحلام خيول الريح العربية .[٢]

---

(١) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**،مصدر سابق ص ٣٠.

(٢) المصدر ذاته، ص ٥٢.

يؤكد الشاعر على أن الزمن يتوقف فلا جديد في عالم شعب فلسطين ولا تغيير، فهذه الروح الانهزامية لن تغير الأمر ولن تحرر البلاد فالأيام متشابهة والأحلام لا تحقيق لها، وما زالت الفرحة مسلوبة ،وما من شيء يعيد الأحلام والأفراح ـ بعد هذه الأعوام المتكررة من الحزن والألم ـ سوى الثورة العربية والوحدة القادرة على ردّ هذا القاتل الجاني الذي يتعرض لأبناء فلسطين بالظلم والهوان، فالسؤال يدور حول توحد العرب في الدفاع عن

فلسطين وشعبها المظلوم، " فالشاعر تخنقه مرارة الانتظار الطويل؛ حيث تمر الأيام والسنون دونما جدوى، وطنه مستباح، وقريته يصول فيها المحتلون"[١].

ولسوء الأحوال جراء الاحتلال وما فيه من ظلم واستبداد انتقلت حياة الشعب من الأمن والاستقرار إلى الألم والفقر والجوع والمهانة ، ويرسم الشاعر ذلك في قصيدة " بصمات الريح "فيقول :

عندما يصبح رأس النبع مقطوعا

بسكين الجفاف

ويصير العالم الليلي لحدا

متخما بالرعب والأشباح ، والموت الكريه!

ويصير الحب في عينيه بحرا دمويا

يسبح الأطفال فيه [٢]

يبرز الشاعر صورة الاحتلال الذي حوّل حياة الشعب إلى قحط وجفاف إلى حياة كئيبة مرعبة تسير في طريق الموت في معارك دامية وقتل وتشريد ، فتحول العالم الآمن إلى مكان تحيط به الأشباح ويطغى عليه الخوف بانتظار الموت الذي يذهب ضحيته الأطفال عبر بحر الدماء الذي لا يرحم الكبير ولا يرأف بالصغير .

أما نكسة حزيران عام ١٩٦٧م وما تعرضت له فلسطين الأم التي قدمت لأبنائها تتجلى

---

(١) علي عيسى، **الشاعر علي البتيري في ديوان لوحات تحت المطر مليء بالخصب**، جريدة أخبار الأسبوع الأردنية،١٩٧٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣١.

مظاهرها في قصيدة" لوحة الرؤيا" يقول الشاعر:

جاءتني أمي بوسادة دم

غطتني بقميص أخي الضائع في

أدغال [حزيران] وقالت: نم يا ولدي .. نم !

حاولت المشي على أهداب نجوم الظهر ،

ولكني .. تحت لحاف الدمع غفوت ..

جاءتني الرؤيا تتلوى في سقف الهم ..

فرأيت الوطن المغصوب يعود !

عيناه المتعبتان ارتمتا فوق ذراعي

طرزتا وجه قميصي بدموع سود .. [١]

ضاع الوطن وضاع الأخ في نكسة حزيران ونهبت خيرات الوطن وما زال الشعب يلتحف الدموع والحزن والهم والألم، يائسا من العودة إلى وطنه بعد هذه النكسة والتشرد؛ إذ أصبح أبناء الشعب مهزومين مقهورين، سيطر عليهم الهم و أحاطت بهم المآسي من كل صوب: عدو غاصب، وهوان وتخاذل العرب، وصور آلام وجراح وأحزان، فالشاعر يستخدم قصة يوسف الصديق وضياعه صغيرا كمقابل لضياع الأمة والشعب الفلسطيني إثر هزيمة حزيران، فجعل الشاعر الأسرة الفلسطينية تتكون من أم وطفلين: أحدهما ضاع في فاجعة حرب ١٩٦٧م ومتاهتها، وآخر باق مع أمه تحاول أن تبقيه لديها، ولكنه يتفلت منها لتحقيق هدف يسعى إليه، وتحذره من الضياع الذي حدث لأخيه، وكذلك استخدم الشاعر عودة الإبصار لوالد يوسف الصديق كمقابل لحلم العودة الذي يحيط به الظلام ودلالة هذا الدموع السود حيث أعطى الشاعر للدموع لون السواد الذي عم فلسطين بعد نكسة حزيران[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤.

(٢) انظر يوسف أبو صبيح، **المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر**، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ١٩٩٠، ص٧٢.

ويقول الشاعر:

فأطلت أمي

من نافذة القلق المخلوعة في وجه الريح

تأكل كفيها خوفا وتصيح

احذر أن تسقط يا ولدي

في ميدان الموت الشائع

وتذكر أنك تحلم في عصر جنازات الحلم الخائب

لا تلحق يا ولدي بأخيك الضائع
فحبيبتك المرسومة في عينيه

صارت جارية في قصر يهودا الفاتح

ترقص للماس ، وللياقوت الكاذب ! [١]

أصبح الحلم بالعودة ميتا فيطلب الشاعر من شعب فلسطين العودة لفلسطين التي ذهبت مع هوان وتخاذل فئة باعت كرامتها وأرضها للصهاينة، حيث سقط أبناء الشعب الفلسطيني وكل من مات دفاعا عن فلسطين ، لكن الحسرة غدت تخيم في عالم آل أهله إلى الخوف والخسران ، فالجيل المهزوم يخاطب جيلا آخر يعيش ظروفا أخرى.

وها هي أحوال أطفال فلسطين كما يصورها الشاعر في قصيدة " نقشا في جدار مائل" فيقول :

أطفال كبروا في عشق الغرباء

وأطفال لم يأتوا بعد . .

أطفال حلموا بالخبز

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦

في رحم الأم المسكونة بالبرق وبالرعد

احترقوا هذي الليلة حزنا أو جوعا

عزفوا عن أسطورة بابا نويل

القادم في كوكبة الفرح الوهمي ...

سئموا من دحرجة الأقمار الخضراء على جبل الوعد [١]

واستطاع الشاعر التعبير عن الألم الذي أصاب أطفال شعب ولدوا في ظل ظروف الاحتلال الذي ينتابه الدمار والجوع، فأصبحت لقمة العيش حلما لدى الأطفال الذين يحلمون بالخبز وسط

الجو الغائم بالقتل والتشرد، يئسوا من المساعدة ليعودوا لوطنهم، فإن مصابهم وقهرهم أصبح رفيق الأجيال، وأصبح الفرح لديهم وهما وليس حلما بالأمل بل هو من نسج الخيال كأسطورة بابا نويل التي استخدمها الشاعر لتبث الأمل لدى الأطفال على صعوبة تحقيقه .

هذه الدموع تذرفها فلسطين حزنا منذ أعوام على فراق الأهل والأحبة لما تعرضوا له من سياسة تشريد ونفي حيث ابعد الابن عن أمه فقد تيتم الأبناء ورملت النساء وشردت الأُسر[٢]، فيقول الشاعر في قصيدة " دمعة " :

لا قديس أرى في أعينكم

يمكن أن يتكهن كم دمعة حزن

ذرفت أمي منذ ثلاثين سنة

حزنا في الدار على ولد مجنون

لم يبصر في عيني ليلاه وطنه لم يعرف . .

---

(١) علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده** ، وزارة الإعلام والثقافة بغداد ، ط١، ١٩٨٠، ص٣٠

(٢) انظر يوسف أبو صبيح، **المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر**، مرجع سابق، ص١٦٦.

من يتَّم ليلاه بعينيه

ومن في عيني ليلاه سجنه[١]

ويتخذ الشاعر من قصة مجنون ليلى قيس بن الملوح ـ الشاعر المحب الذي مات ولم ينطق لسانه بذكر غيرها ـ [٢] رمزا لبيان تعلق المنفي الذي شرد عن موطنه بفلسطين ، فليلى هي فلسطين التي يعشقها الشاعر وهنا يتوحد هم الشاعر بهم الجماعة فحزنه على فراق فلسطين هو حزن شعب بأكمله، ومن خلال الحب العذري يؤكد الشاعر على صدق مشاعره لما يحمل هذا الرمز من طهارة وحب يصل إلى درجة الجنون، فمعاناة قيس في حبه وحرمانه، تقابل معاناة الشاعر في حبه لفلسطين وحرمانه منها هذا الحرمان الذي لم يغادر بيت من بيوت الشعب الفلسطيني سوى أكان على أرض فلسطين أم في بلاد المنفى التي عبر الشاعر عنها في قصائده كثيرا.

---

[١] علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي**، ط١، دار البشير عمان، ٢٠٠٢م، ص٩١.

(٢) انظر أخباره : الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب**، تحقيق، عبد السلام هارون ،ط٢، مكتبة الخانجي بمصر،١٩٨١م، ج٤،ص٢٢٩-٢٣٣.

ثانيا: حياة اللاجئين في المنفى:

إن قضية اللاجئين في المنفى من القضايا الهامة التي عرضها الشاعر في نتاجه الشعري ، حيث إن المنافي تمثل مرحلة من مراحل حياة المعاناة للشعب الفلسطيني الذي شرد من وطنه[١]، "والمنفى هذه التجربة القاسية التي يحس معها المرء أنه مطرود من وطنه، وأنه ولد وهو لا يحمل جنسية، ولا يتمتع بأي حق من الحقوق، وأن هويته موصومة بوصمة ما، هذا المنفى هو قدر مشترك للفلسطينيين جميعا"[٢]، وقد بين الشاعر حياة المنافي والمعاناة التي عاشها الشعب، فوصف حال المنفي وتنقله من منفى إلى أخر، وكيف كان ينظر المنفي إلى أرضه السليبة .

ويبين الشاعر أن الشعب الفلسطيني صابر وصامد أمام هذه التحديات، لأن الانتماء هو من المبادئ الثابتة التي لا تتغير في أبناء الشعب الفلسطيني، والمنفي عن وطنه يبقى في شوق وحنين لهذا الوطن السليب، وينتابه اليأس أحيانا والأمل أحيانا أخرى، فنجد الشاعر ما بين أمل بالعودة وشوق للقاء وبين الحديث عن الموت وكيف أن المنفي في سباق مع الموت، والزمن آملا بالرجوع .

نال المنفى باعتباره الملاذ الذي دفع له شعب سلب وطنه، جانبا من قصائد الشاعر في دواوينه كافة، فيتحدث الشاعر عن شوقه لوطنه ثم يعرج إلى حال الشعب الفلسطيني في المنفى وما يعانيه من جوع وفقر وألم، ويصور المعاناة والحزن الذي يرافق الشعب في حياة المنفى بصور نابضة بالحياة، يقول في قصيدة "بطاقات في بريد غزة ، سلة أشواق" :

" سلة أشواق فارغة

يخجل أن يحملها الطير !

ومراوح إعجاب لا تسمن أو تغني من جوع

قد نرسلها هذا الصيف ولا ضير

---

[١] انظر، حسني محمود، شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه ،ج٣، في المنفى ١٩٤٨-١٩٦٧، الدار العربية، الأردن،١٩٨٤م.

[٢] سميح فرسون، **فلسطين والفلسطينيون**، ترجمة عطا عبد الوهاب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣م،ص٣٥.

فحبال المحل الممدودة من بغداد إلى الدار البيضاء
جعلتنا نتشهى خبز الغير" [١]

هذا التخاذل من العرب وغياب الدعم العربي لأبناء فلسطين، جعل من أهل المنافي يتطلعون إلى غير العرب، فهذا استهزاء بحال العرب وأن هذه هي أحوال من شردوا في أنحاء الوطن العربي، فهنا يرمز الشاعر في سلة أشواق إلى غياب الدعم العربي الذي أدى إلى تدهور الأحوال فحبال الوصل بين أبناء الوطن العربي بكافة أقطاره متقطعة وواهنة، فالشاعر يحمل العرب عبء القضية الفلسطينية منطلقا من خلافاتهم التي ساعدت في إيقاع التفرقة مما أدى إلى الفاجعة الفلسطينية، " فيعرب اللاجئون عن شعورهم بالمرارة لطول مدة اغترابهم، وهم يشعرون بالغدر الذي حل بهم"[٢].

وينتقل الشاعر لبيان بعض مظاهر هذه المنافي ومعاناة أهلها من جوع وفقر فيعرض صورة الأب الذي لا يجد الماء لغسل قمبازه، فحال الفلسطينيين في المنفى كحال العاجز الذي لا يستطيع التخلي عن عكازه، ويأمل بقدوم أيام ليعود إلى وطنه بزنود الرجال وسيوفهم، فيقول :

معذرة يا أم العينين الواقفتين على

أكتاف الموتى ... و جباه الأحياء

نكذب أن قلنا نحن بخير

فأبى منذ السنوات الأربع لم يغسل في نهر قمبازه

و الشيخ العاجز.. شيخ المنفى

ما زال يعاتب في باب العتمة عكازه

و نجامل لو قلنا صحة غربتنا ممتازة[٣]

---

(١) علي البتيري ، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص١٠٨

(٢) إبراهيم العابد، **دليل القضية الفلسطينية**، ط١، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٩م،ص١٥٥.

(٣) المصدر ذاته ١٠٩.

ومن خلال خطاب الشاعر لفلسطين وتقدمه لها بالمعذرة، يظهر بعض ملامح الحياة في المنفى الذي أصبح حقيقة في حياة الشعب الفلسطيني، والذي أخذ يمتد عبر الزمن، ويشير الشاعر إلى فلسطين بالنهر رمزا للعطاء، ويأتي بالصورة المقابلة الدالة على ظلام المنفى الذي يكتظ بالألم والجوع، ويبرهن الشاعر على أن الحياة التي آل إليها شعب فلسطين، لا تحتمل المجاملة، فالبعد والتشريد ومعاناة الشعب هي واقع المنفى الأليم ، ثم يخرج الشاعر من هذه الصور الموحية بالحزن إلى صور التفاؤل، والنهوض الذي تمثل في صورة الغيث لتحقيق النصر والخلاص، ويشير الشاعر إلى سواعد الرجال التي ترمي بالحجر، هذا السلاح الذي يجابه بصبر وثبات أمام أسلحة العدو، فيقول:

فانتظري يا أم العينين الناسكتين انتظري

أمطار بريد قادم . .

فعسى الغيم الأتي

يصبح في الأفق الشرقي رمادا

و عسى الغيث الأتي

يساقط فوق وسائد من ناموا.. جمرا

يروي في ميدان الظمأ القاتل

سيوفا و زنودا و جيادا . . . [1]

ويبقى الشاعر في شحذ الهمم للتوصل إلى خلاص رغم المصاعب، ويوحي إلى أنه من يتحدث عمن في النفي لا يلتمس حالهم وكل ما يقال من أن الأمور ممتازة هو مجاملة، وهذا ما يدعو الشاعر للتعبير عن الحلم بذلك اليوم الذي يخلص البلاد لتعود تفرح بساكنيها .

ويخاطب الشاعر فلسطين من بلاد المنفى مكرسا حبه لها، فالشعب في تيه بين حب فلسطين وحياة بائسة فالأمل بلونه الشاحب الخافت يقود إلى الهلاك والتيه،ويشير الشاعر إلى الثورة بالوحدة والتكاتف فيقول الشاعر في قصيدة " الليل في انتظار الحكاية ":

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٩، ١١٠.

لا ترتجفي خوفا أو خجلا قرويا

ها نحن دخلنا كل خلايا العشق المهجورة

في جسد المنفى

لم يبق سوى أن نتوحد

أو نسقط تحت ظلال الضوء الشاحب

لم يبق سوى أن نأخذ شكل الجسر العائم

بين البحر وبين هوانا (١)

وهنا يشير الشاعر إلى أهمية الوحدة في بلاد المنفى، وإعداد النفوس للتحدي ومواجهة العدو، وقد رمز للحياة بكل ما تحمل من معاناة ومآس بالبحر الذي يكتنفه الظلام، وإن قطع هذا البحر والوصول إلى شاطئ الأمان والسلامة يحتاج إلى صبر وتحدي وتكاتف في الجهود، وهذا ما أراد الشاعر أن يتمسك به أبناء شعب فلسطين في المنفى للوصول إلى شاطئ الأمان فلسطين منتصرين،" فالنكبة التي حلت بالفلسطينيين في عام ١٩٤٨م، والصدمة التي أصابتهم من جراء تدمير مجتمعهم، وما تلا ذلك من تشريد وإخراجهم من ديارهم وانتشارهم في أرجاء المعمورة، كل ذلك عزز إدراك الفلسطينيين لذواتهم وخلق في ما بينهم رابطة نفسانية وشعورا قويا بالهوية والوحدة، وبالرعاية المتبادلة والمسؤولية بعضهم تجاه بعض"(٢).

وها هي القدس تصرخ غضبا لخروج أهلها ونفيهم بعيدا عنها، فالمنفى مظلم من ظلم العدو المحتل، والقهر والأحوال السيئة، فليس لهم أية معجزة فهذه الأرض المقدسة التي أصبحت مسببة تغضب لخروجهم منها، فحياتهم في قهر وحزن وفزع في غياهب المنفى مشردين، ويقول الشاعر في قصيدة " نقوش في جدار مائل: صلاة ":

الآن حبيبي

صرنا في باب الوجع القدسي

---

(١) علي البتيري ، **المتوسط يحضن أولاده** مصدر سابق ص٢١.

(٢) سميح فرسون، **فلسطين والفلسطينيون**، مرجع سابق ، ص٤٤.

فلا تفزع . . .

ربت برموشك فوق جراح القلبين،

قناديل المنفى مطفأة ، والريح شديدة . . .

اخلع نعليك على عتبات الحزن الموحل

هاك . . تيمم بقميص شهيد واخشع.

لم ينطق طفل هوانا في المهد ، ولم يساقط

من جذع النخلة ما يبهجنا، قام الناس علينا

واقتلعوا من أرض العشق المطعونة مصباحا وقصيدة

الآن حبيبي.. حل علينا غضب الفردوس الأرضي ،

تعال ، تعال..، وخبئ عينيك بعيني

قناديل المنفى مطفأة . . والريح شديدة . .[١]

وبعد الحديث عن المنفى والخروج من الأرض المقدسة لبيان التشرد الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني، يعود الشاعر إلى حادثة العذراء ليؤكد قدسية الأرض التي أخرجوا منها[٢]، وحبهم لها، وتأكيده من خلال رمزه إلى سيدنا عيسى إنما هو رمز للسلام، وها هي الحياة بعيدا عن فلسطين يكتنفها الحزن؛ فيجعل الشاعر من المنفي يعود بذاكرته إلى فلسطين ليسعى للخلاص الذي قدم من أجله الكثيرون أرواحهم، واستخدام الشاعر قصة مريم العذراء وما عانت منه مع قومها كمقابل لحال الشعب الذي يعيش في المنفى وتخلي قومه عنه في كثير من المواقف فيؤكد أهمية التماسك والصبر، ويشير إلى التخاذل العربي في الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في قضيته. ويؤكد أن في المنفى لا يمكن الصمود طويلا أمام كل التحديات التي تمارس عليهم، وأن

---

(١) المصدر السابق ه ص٢٨.

(٢) انظر يوسف أبو صبيح، **المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر**، مرجع سابق، ص٧١.

صورة المنفى الشاحبة في عين الشاعر جعلته الطريق إلى الهلاك، وأن المنفي في سباق مع

الزمن وحلمه بالرجوع إلى أرضه، فالأيام تمر سريعا ودرب المنفى طويل. فيقول في قصيدة" سباق" :

أنا والموت وعيناك رفاق

نتغاوى في بلاد الجمر

نعرى ونجوع نتلاقى . . ثم نمضي

تصبح الخفقة مجدافا على بحر اشتياق

وإذا ما خيم الليل على الزورق ،

واسودت قناديل الحاسدين

نشتهي لحظة وصل قبل أن نجري . .

وتحمر عيون الحاسدين لترانا

أنا والموت وعيناك على خيل القطيعة

نتجارى في سباق

والذي يقطع منا لجة المنفى

يذق طعم الرجوع . . [١]

" إن فادحة الإحساس بالمنفى لدى البتيري تزداد نموا، وتتصاعد ما بين قصيدة وقصيدة، عاما وعام، حيث يتكشف المنفى وجها دميما، ومدينة لا تهب العافية، أو راحة المستجير، فينبع الخوف من جديد، والخوف من الموت، فأي موت أقسى من الموت في المنفى"[٢]، فالمنفى هو الموت البطيء، وحال الشعب في المنفى وكأنه في سباق مع الموت في مضمار

---

[١] المصدر السابق ه ص ٣٢.

[٢] محمد القيسي، مقالة بعنوان: **من غربة كنعان حتى وعي المنفى – قراءة انطباعية في ديوان " المتوسط يحضن أولاده"**، جريدة الرأي الأردنية ١٩٨٢/٨/٢٢م

المنفى والجري المستمر، فإما أن يتحقق لأبناء الشعب الفلسطيني الرجوع واللقاء بالوطن بعد الصراع مع الحياة، حيث يغدو المنفى ساحة سباق نتيجة إحساس المنفي الدائم بالفقدان لغيابه عن فلسطين إذ يطالع الزمن في أمل الرجوع، وإما الموت قبل النهاية المرجوة موت البعيد الغريب .

ومن خلال الحديث عن المنفى نجد الشاعر كالطير لا عنوان له متنقلا من مكان إلى آخر فالشعب تائه وسط زحام المنفى مشرد عن بلاده فحالته الألم والخوف والحزن ،فيقول الشاعر في قصيدة" شمس حائرة" :

أطلقي سبع حمامات وقولي

يا أعاصير المنافي الباردة

إنني أعددت سربا زاجليا

عل من بلواك تنجو واحدة

كاتبيني . . .

دمعتي عنوان منفاي الجديد . .

ورباط الجرح صندوق البريد . .

وإذا ما أنكرتني

في زمان الرعب آثار خطاي . .

سائلي عني عيون المخبرين

سائلي عني جراح البؤساء الطيبين " [١]

ويعبر الشاعر بصورة من الواقع الذي يعيشه المنفيون بصبر وألم عن الضيق والحزن الذي أصابهم، إذ يطول بهم الانتظار والمقام في أرض الغربة، فيبرز صورة الفلسطيني الذي يعلن ضجره آملا بالرجوع، فالحزن والبكاء اتخذه الشاعر عنوانا متجددا وملازما للفلسطيني الذي نفي من وطنه فليس له إقامة محددة، ولا يشعر بالأمن فهو دائم التنقل، واستخدم الشاعر الحمام

---

[١] المصدر السابق، ص٨٣.

الزاجل رمزا للتواصل وتناقل أخبار الوطن من عالم الغربة والبعد، وأضفى على اللفظة دلالات الألم واللوعة، فيظل الحزن رفيقا للإنسان الفلسطيني في منفاه يسير في ركابه على الطريق الدامي الطويل.

ويرسم الشاعر ألوان الظلم التي يتعرض لها كل من في المنفى، فأنين الشعب المترنح بجراحه من قهر إلى قهر، فمن تحت المعركة إلى النفي بعيدا والعيش في دوامة الألم والحزن فيقول في قصيدة "مزمور في ليل الغربة ":

لو أنك يا سيد ليل الغرباء ...

تراعي وقع أنين الجرحى

لخلعت قميص دمي البالي

وكشفت لك الطعنات الليلية

لو أنك تقرأ شيئا من لغة المنفى

لكشفت لك الأوراق الشخصية [١]

وبصورة الحزن واليأس الذي يصيب من في المنفى وحال تشردهم، يبين الشاعر أن من خسر وطنه لا وطن له، وهذا بيان ضعف المنفي لبعده عن وطنه، ويكرم الشهيد الذي قدم روحه فداء للوطن، ويؤكد أن الموت شهيدا في سبيل الله دفاعا عن الوطن أجل وأسمى من التنقل في بلاد المنفى، ومن هنا يظهر يأس الشاعر من دوام التنقل في حياة المنفى[٢]، فيدعو الشعب كي يقاتل حتى الشهادة ، وجعل من الموت شيئا مستطابا على أرض الوطن . فيقول :

لا أملك مضطجعا قرويا لرفاتي

وكثيرا ما أسمع في الليل طيور الهجرة تحكي :

أن الميت فوق فراش الغربة مثل بعير

ينهض يوم قيامته .... ليضل غبارا أزليا ... يعلق في أحذية الشهداء . . .[٣]

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٣.

المصدر ذاته، ص١٠٤.

(٢) انظر سمير قطامي، **الشعر في الأردن**، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان،١٩٩٣م،ص٥٠.

ثالثا: الصمود والانتفاضة :

البتيري شاعر استطاع أن يوجه قصائده لوصف الانتفاضات ما قبل وبعد عام ١٩٤٨م التي قام بها شعب فلسطين دفاعا عن وطنهم، وما قام به من تحدٍ وصمود، و البتيري ليس بمعزل عما قام به الشعر الفلسطيني، حيث " أخذ الشعر الفلسطيني يشحذ الهمم، ويبعث الدفء الوطني في نفوس الشعب كمقدمة طبيعية لإعلان الجهاد الفعلي والعملي ضد أعداء البلاد ومشايعيهم، مصورا للناس ماضيهم العريق، وانتصاراتهم السابقة في معارك الشرف والبطولة، وتاريخهم الذي سطروه، بحروف مضيئة وموضحا لهم طبيعة النفس العربية التي لا تقبل الذل والهوان، والتي تثور على الضيم والبغي والضلال، والتي ترفض العبودية والاستسلام."[١] فقد أبدع البتيري في تصويره للانتفاضة وللشهيد وما قدمه باعثا روح العزم والعطاء في نفوس الشعب والأجيال القادمة.

فالشاعر يتحدث عن الشهيد وتقديم روحه فداء للوطن، وبيان مقدار التضحية؛ لاستنهاض الهمم وشحذ النفوس فلا وقت للهو والتخاذل والهوان، ويجب الوقوف دون تخاذل في الدفاع عن فلسطين، فالشعب لن يضعف أمام المغريات التي يتعرض لها رغم التحديات والظروف الصعبة التي تسيطر على واقع حياته، فالشعب متمسك بثوابته أرضه ووطنه وعرضه.

لقد مرت فلسطين بأحداث كثيرة كان لها الدور البارز في إحياء الجهاد والنضال، حيث " تبنى الشعر الفلسطيني في هذا الدور قضية الدعوة للجهاد ، وإعلان الثورة ضد المستعمرين دفاعا عن وطنهم، وحريته واستقلاله، وإلهاب الحس الوطني في نفوس أبناء الوطن [الشعب]، وبث الروح الوطنية في نفوسهم، وشد عزائمهم وتقويتها، وقتل الشعور بالخمول والقعود والجبن والخوف والروح الانهزامية"[٢]، فإن قضية الدعوة للجهاد هي الطريق للخلاص من قهر الأعداء وظلمهم .

لقد برزت صورة الحجر هذا السلاح الوحيد الذي يناضل به أبناء الشعب الفلسطيني واضحة، وصورة الشهيد الذي يقدم روحه رخيصة لتحرير البلاد، وأن الدفاع عن فلسطين هو

---

[١] سعدي أبو شاور، **تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر**،ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٢٨.

[٢] المرجع ذاته،ص١٤٢.

واجب على كل عربي غيور على أمته ودينه وعروبته، يغرسه الشاعر في نفوس الأجيال القادمة،الأطفال الذين يمثلون أمل الأيام القادمة، وحلم المستقبل بالخلاص وتحرير الوطن السليب من يد الغاصب المحتل.

ويستنهض الشاعر الهمم بعرضه لبطولة جنين في ليلة مولده، فها هو رمز الحق والنصر من خلال نظرة المجد، والأمل القادم، والتحدي في عيون أبناء الوطن المشردين، رمز الثورة والانتفاضة، فيقول في قصيدة "رأس الرمح" :

الليلة . . ميلاد جنين آخر في مهد النار

فابتسموا يا رهبان الجرح

والليلة . . قد تنزل أمطار . .

فهنيئا يا كل نبي

يغسل بالدمع محرابا لصلاة الصبح

الليلة .. سوف يؤذن صوت

أقوى من صخب البحر

وعربدة الأمواج على شاطئنا المحتل

النار ! النار ! ولا العار [١]

ينتظر الشاعر بزوغ فجر الأمل في مولد الأطفال والأجيال القادمة التي لن ترضى الخضوع ، فمولد الطفل هو مولد للثورة التي تسعى للتحرير والخلاص بالقتال، فالقتال والدفاع عن الوطن ولا الرضا بالعار والخضوع للعدو المحتل الغاصب، فالموعد عند صلاة الصبح رمز الحرية والنور الذي يواجه الظلام،" فلم تحدث الانتفاضة في فراغ سياسي واجتماعي، وإنما كانت تتويجا لعملية مقاومة اتخذت أشكالا شتى ردّا على أعمال إسرائيلية"[٢]،فالشاعر ينادي بثورة الشعب ويحث عليها، ويقول:

---

(١) علي البتيري ، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص١٠٥.

(٢) سميح فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق،ص٤٦.

فتعالوا يا فرسان الله على الأرض

نوضئ أعيننا الذابلة الصفراء

فغزة على رأس الرمح

غزة على رأس الرمح . . [١]

وهذا استنهاض للهمم للدفاع عن غزة وتحريرها من يد الغاصب، وهذه إشارة لما يقدمه أبناء غزة في الدفاع عنها وتفانيهم من أجل ذلك، وينتقل الشاعر إلى صورة البطل الذي عشق بلاده، البطل الذي نزح عن ما تهواه النفس فلا وقت للهوى ولا للتخاذل وإنما لا بد من الوقوف في وجه العدو الغاصب بكل إرادة وتصميم وعزم، فيقول في قصيدة " حوار" :

آه يا عاشقة الفرح المستنسر آه

لا وقت معي لهوى

يتنكر في زيّ إمام أو هيئة راهب

لا وقت معي لمراقبة الحد الفاصل

بين الحب الصادق والحب الكاذب . .

قومي لنموت معا أو نحيا في [بوز] المدفع . .

فكلانا من وطن يتشهى الشوق العلني

ولا يخشى في العشق ملامة ،

اغتسلي الليلة في نار دمي

احترقي في وثبة رفض تتخطى الزمن الرخو

وتخلع عن حائطك المائل أقنعة [الرزنامة] [٢]

---

[١] المصدر السابق، ص١٠٦

[٢] علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده**، مصدر سابق، ص٢٦.

ويبين الشاعر أن الوقت ليس للهو، وإنما للوقوف بعزم في أرض المعركة في" بوز المدفع" وقت الرفض لكل هزيمة لكل تخاذل قد مضى؛ لذلك يحث الشعب على الصمود وإظهار البطولة والتكاتف في وجه العدو الغاصب وتقديم الروح رخيصة في سبيل الوطن، فالأيام تمر مرّ السحاب.

وفي بيان لصورة البطل الذي قدم حياته فداء للوطن، الشهيد الحر الذي دافع عن وطنه هذه الصورة التي تأباها أعين الجبناء، يقول الشاعر في قصيدة" رايات شهادة ":

أيموت الفارس مثل بعير ؟ لا نامت مقل الجبناء !

هون يا ابن المخزومي عليك . .

فالموت فضاء يفضي لفضاء . .

والجنة أقرب من عينيك إلى عينيك

آثار جروحك أوسمة ونياشين قيادة

وثيابك في الجنة رايات شهادة. [١]

ويؤكد الشاعر أن الشهيد الذي تكلل بجروحه أوسمة في المعركة مدافعا عن وطنه الجنة هي مستقره؛ لما قدم من تضحية في سبيل الله وللدفاع عن أرضه، ولا يخسر إلا الجبناء فلا مجد لهم ولا جنة، والنصر لا يتحقق إلا بالتضحية، فالموت في سبيل الله فداء للوطن به يكون الخلاص من يد الغاصب المحتل، وتحرير الأجيال القادمة من عدو جاثم، فهنا الشاعر يستخدم أقوال تراثية بصيغة السؤال الاستنكاري مستنكرا لحال الجبناء المتخاذلين ومشيدا بمن يقدم روحه لخلاص وطنه[٢].

ونتيجة لتلك الحروب التي تعرض لها شعب فلسطين؛ " تكونت طبقات أشد كثافة من الألم والإحباط، ومن رحم ذاك الألم ولدت الروح المقاومة التي سعت لرد الاعتبار للذات المكلومة، عبر اختيار سبيل النضال، وهو السبيل المناقض للهزيمة الذي يحمل وعدا بالنيل من المحتلين

---

[١] علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي**، مصدر سابق، ص٨٩.

(٢) انظر عبد الفتاح النجار، **التجديد في الشعر الأردني ١٩٥٠-١٩٧٨م**، ط١، دار ابن رشد، عمان، ١٩٩٠م، ص٢٢٠.

ومعاقبتهم على ما ارتكبوه من جرائم بحق الإنسان الفلسطيني والعربي"[١]، فمن مظاهر الصمود قوله في قصيدة " ولي قلب ":

وابتسم الصبح

في ثغرك يا ليلى بلادي

كل ما أملك ، من سحر الربيع . .

لو أتاني الخلق بالكون

وتاقوا لبريق فاض

من جدول بسمتك العطشى

يمينا لن أبيع . . لن أبيع ! [٢]

يتحدث الشاعر بلسان الشعب الصامد في وجه كل المغريات، وكل المعاناة التي يواجهها فلن يتخلى عن أرضه ووطنه، ويؤكد بأنه لن يرضى بالقهر ولا يستبدل أرضه بكل الكون فمن يبيع وطنه لا يجد له وطناً، ويطمئن فلسطين حبيبته الأزلية أنه مهما تعرض له من صعوبات، فلن يسلِّم ثراها، فهي البلاد والأولاد والحياة والربيع، ولن يستسلم الشعب الفلسطيني المناضل رغم التحديات التي يمر بها من ظلم وقهر.

ويحث الشاعر الشعب الفلسطيني على التحدي والصبر والصمود في وجه كل التحديات التي يتعرض لها والإهانات والذل والفقر ، فيقول في قصيدة "اصطبار العاشق" :

تجمل حبيبي . .

تجمل بصبر الطيور الفقيرة

على البرد والجوع والاصطياد

---

(١) محمد عبيد الله، **فلسطين في القصة القصيرة في الأردن من النكبة إلى الانتفاضة**، ط١، أزمنه للنشر والتوزيع،عمان الأردن،٢٠٠٢م، ص ١٠٢.

(٢) علي البتيري، **شبابيك أتعبها الانتظار**، مصدر سابق، ص١٢-١٣

تنقل بجوعك

فوق الغصون الكبيرة

وغن كما شئت حب البلاد

وصمت البلاد [١]

فالشاعر يخاطب الشعب الفلسطيني مشيرا إلى الحال التي آل إليها الشعب، ورمز لها بحال الطيور التي على ضعفها تمتاز بالصبر والتحدي، ومن هنا يحث الشعب على الصبر والصمود رغم التنقل المستمر، ويطلب الشاعر أن يبقى الشعب متمسكا بحب فلسطين وأن يغرس هذا الحب في نفوس الأجيال، وينتقل الشاعر إلى بث روح الحماسة في نفوس الشعب، فهذا هو العاشق من بيده الخلاص الذي يحمل رسالة العودة إلى الوطن، يتمسك بما يجعله يصمد ويتحدى ليحقق النصر ويرد الغاصبين عن بلاده، فيقول :

فيكفيك يا طائر العشق

أنك حر الجناح

طليق الفؤاد . .

بعينيك بحر طويل

يرد قراصنة النرجس المتنهد

عن مرفأ وجزيرة

بجنبيك جمرة حلم جسور

يحاذي الرياح

ويخلع عن كتفيه قميص الرماد . . [٢]

---

[١] المصدر السابق، ص٣٦

[٢] المصدر ذاته، ص٣٦-٣٧.

فهنا لا بد من خلع قميص التخاذل والهوان لتحقيق حلم النصر وتحرير فلسطين من الغاصب المحتل الذي يتعرض لأهلها بالقهر والظلم، ومن هنا يبرز الشاعر دوره الذي يتوجب عليه ودور كل شاعر فلسطيني، في التنقل في فضاء الشعر للذود عن فلسطين التي جعل منها الشاعر حبيبته، ومن نفسه سندباد البحّار الذي يجوب بحور الشعر للوفاء لها، ورد الصهاينة الذين رمز لهم بالقراصنة لتجنيهم على بلاد حرة واحتلالها، ثم يبين الشاعر أن الانتفاضة تأتي من هذه الجمرة التي تمثل بذرة الانتفاضة التي تتقد من مهب الريح لتشعل نار الخلاص.

وفي دعوة للصمود والتحدي وبالرجوع إلى التاريخ وما تعرضت له فلسطين، وكيف دافع المسلمون عنها، والانتصارات التي حققها المسلمون، وفتح صلاح الدين للقدس وتحريرها، يقول الشاعر في قصيدة "إعلان تاريخي":

من يقترب الآن . .

من حائط صمتي المتداعي

فليقرأ هذا الإعلان

ورجاء ثم رجاء . .

من يقرأ منكم إعلاني

فليأخذ في صحراء الصمت مكاني

وأنا اتبعه بسراج دمي

كي نبحث في سرداب الليل سويا

عن سيف صلاح الدين

قيل ابتلعته الريح المتعددة الجنسيات

قيل تحلت ببريق السيف الجنيات

قيل امرأة من حطين . .

دسته بخابية القمح

غافلت الدورية،

قالت للميجر *:

لا شيء ، ولا شيء هنا

هذي خابية أخزن فيها

لسنين الجوع الأخرى

قمح فلسطين [١]

فهذا الإعلان هو للحث على النصر، والأمل بالخلاص، وأنه سيبقى على مدى الزمن فمن عهد صلاح الدين وتحريره للقدس وتخليصها من الظلم إلى خلاصها اليوم من عدوها الغاصب، فقمح فلسطين لأبناء فلسطين، فلا بد من تحرير الشعب العربي، والأم الفلسطينية من ظلم الصهاينة وأعوانهم، واستخدم الشاعر سيف صلاح الدين رمزا تاريخيا؛ لبيان الدور الذي قام به صلاح الدين في تحرير بيت المقدس من الصليبيين، وتذكير الشعب بأمجاد القادة المسلمين الذين سعوا جاهدين لتحريرها لما لها من مكانة دينية، ويظهر رمز البطولة لتوجيه الأنظار للسعي والعمل على تخليص فلسطين، وبث روح العزيمة في نفوس الأجيال القادمة أبناء فلسطين الذين رمز لهم بالقمح، رمز العطاء والخير المرجو بأن يعيدوا للقدس مجدها عبر التاريخ[٢].

وها هو الشهيد الذي دافع عن وطنه وعن شعبه يشحن النفوس على القتال، وبحجره الأسطوري يدافع عن الوطن، فستبقى البطولة ما دام الشعب مدافعا عن الوطن وما دام الحجر ناطقا بصرخة الحرية، فيقول الشاعر في قصيدة "اعتراف":

أعترف الآن بأن شهيدا

من جبل النار أتاني ،

وتربع في صدر الدار . .،

---

[١] المصدر السابق، ص١٣٣-١٣٤. * الميجر : عساكر اليهود

(٢) انظر يوسف أبو صبيح، **المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر**، مرجع سابق، ص١١٢.

فتحلق أولادي

حول الضيف ،

اندلق النور على أعينهم مذ حلّ لثام الكوفية ،

وبدت بسمته مثل غدير

يترقرق عبر دوائر من عشب و دم سعير

راحت أعيننا

تلهج بالأسئلة الحرى

لكن الضيف تذرع . . . . بالصمت

و ما باح بوردة عشق . . . واحدة . .

أخرج من سترته حجرا أسطوريا

وعلى عصفور أعمى

في داخلنا المذهول رمى

عاد إلى العصفور الإبصار . . . . فغنى

وتجمهر في ساحة منزلنا

أطفال وطيور جائعة ودمى ! [1]

صورة هذا الشهيد الناطقة بالتحرير تبث روح الإقدام والعزيمة في نفوس الأجيال القادمة؛ لتحقق النصر رغم الضعف وقلة الحيلة، إلا أنها إرادة الشعب للخلاص من هذا الظالم الذي يسيطر ببطشه وآلمه، ومن خلال هذه الأجواء الأسطورية التي جسدها بالحجر، ورمز النبي عيسى المسيح استطاع الشاعر توثيق المكانة القدسية لفلسطين ووجوب تحريرها، ومن خلال الألفاظ التي تدل على النور والضياء يرسم الشاعر صورة موحية بالخلاص المتمثل

---

[1] المصدر السابق، ص٩-١٠

بالدفاع والتعاون رغم الفقر والجوع، وأن الخلاص لا يكون بمعجزة بل يتطلب العمل بجد وتعاضد بالأيدي، ويبين أن هذا الحجر الأسطوري أصبح معجزة الخلاص التي قابل بينها وبين معجزة النبي عيسى في شفاء الأعمى، فحال الشعب كحال الأعمى الذي يأمل بمعجزة لخلاصه من علمه المظلم فبالصمود والتحدي يستطيع الشعب تحقيق الخلاص من ظلم العدو الصهيوني، وهذا ما يرمي له الشاعر في تحقيق الأمل المرجو وعودة البلاد لأهلها.

والصرخة في قوله لا للطامعين الغزاة، ورفضه للاحتلال، إنكار للتخاذل في الدفاع عن الوطن، فيقول في قصيدة "ولي حجر أو وطن":

ألف لا . . أيها الهابطون إلى هجعة الريح في باب قلبي

ومليون لا أيها الراكضون إلى قمر شاحب كالخريف

من دمي قامة النهر تنتصب الآن ما بين مشنقة ..... ونزيف

عيون جراحي تحرق في القاتلين ..

فيرتعدون بباب أريحا ، وتحني القذائف هاماتها

لأمير الحجارة حين يباهي

بوقع خطاه الرصيف ... [1]

والدعوة إلى الإنسان أن يبقى محتفظا بالثقة؛ لأن فقد الثقة لن يؤدي بالجيل إلا إلى اللامبالاة كرد فعل عاجز أمام الواقع المهزوم...، والكلمات التي يطلقها الساخطون وغير الجادين تأخذ ولا تعطي...، استبدلها[الشاعر] بالكلمة التي ترعب ولكن لا تقتل، بالكلمة التي تنكأ الجرح ولكنها تجعله يصحو"[٢]، ثم تبدو كلمات الشاعر مفعمة بالحيوية والقوة تدعو للنصر وللصمود، فالرفض بشده في قوله : "ألف لا...ومليون لا" فلن يترك شبراً من أرض فلسطين ينعم به المحتلون الغاصبون. وبعد تبدو الهمة عالية للصمود في وجه العدو فالحجر

---

[1] المصدر السابق، ص٦٧-٦٨

(٢) أمينة العدوان، **محاولة لاستكشاف واستيطان وجه الإنسان والوطن الدامي**، صحيفة الرأي الأردنية،١٩٧٣/٩/١٥.

يجابه المدفع والقذائف، بل إن القذائف تنحني أمام اليد التي تحمل الحجر، فهذا تفاؤل تاريخي وإجلال للمناضل الفلسطيني، ويقول :

وهذا دمي من زوايا الحصار

يعد لعرس الحبيبة

إكليل نور ونار

وبين الأصابع لي حجر أو وطن

ولي زمن غير هذا الزمن [١]

وعلى الرغم من الحصار فإن إكليل النور والحجارة المضيئة تقود إلى النصر والتحرير، فالحجر هو رمز النضال والكفاح لتحرير الوطن، وهو الطريق إلى زمن الإشراق والنور، هذا الزمن الذي يؤمن الشعب بقدومه وذلك في المستقبل القادم وبيد أبنا الشعب الأحرار.

إن النصر والتحرير لا يكون إلا بتقديم الأرواح فداء للوطن فالقتال والدفاع عن الوطن هو الهم الشاغل لكل فرد من أفراد الشعب، ويرى الشاعر أنه ما دام هذا الهم القومي وما دامت الأيدي مكللة بالحجارة، وما دام الشهداء يقدمون أرواحهم فداء للوطن فإن النصر آتٍ لا محالة[٢]، فيقول الشاعر في قصيدة "وردة الدعاء" :

لن يطفئوا ابتسامة الشهيد ... في وجه دارنا

ولن يغيب الميتون ... عن عهد ثارنا

حتى أرى أبي من قبره يقوم

يطير الورود والحمام

لفرحة في دارنا تقام بين العدل والسلام .... [٣]

---

(١) المصدر السابق، ص٦٨-٦٩

(٢) انظر عبد الفتاح النجار، **التجديد في الشعر الأردني، مرجع سابق، ص٢٤٣.**

(٣) المصدر ذاته، ص١٣١

ويؤكد الشاعر أن الشهيد سيبقى يدافع عن وطنه إلى أن يتحقق النصر، فكل مظاهر الطبيعة تقف وتقول هذا ما صنعه التصميم والإرادة والصمود، فالشهيد يبتسم حين يقدم روحه لخلاص وطنه، فبالعزم يتحقق النصر، وتبدو صورة أدوات النضال جلية في وصف الشاعر حين يؤكد أن المقلاع طريق الخلاص، فيقول الشاعر:

لن يسقط المقلاع من يدي ...

حتى أرى داود ... يرد عن دمي بنادق الجنود

حتى أرى السحاب ... والطير والشجر...

حتى أرى الهنود والزنوج والغجر...

حتى أرى الرعود والبرق والمطر ...

جميعها تقول لي : تعال ربك استجاب

لوردة الدعاء في تسبيحة الشهيد وابتهالة الحجر [١]

فيبرز الشاعر مظاهر الصمود رغم صعوبة الموقف الذي تعانيه فلسطين من خلال التكثيف الذي استمده من عناصر الطبيعة، فهذا التصوير الحسي يرمز للخير والعطاء والسعادة، ومن خلال تكرار الكلمات التي تنتهي بحرف الراء أعطى الشاعر جوا صاخبا يعبر عن صرخة الشعب صرخة غضب واشتعال الانتفاضة واستنهاض للهمم وإجلال للشهادة، ومن خلال الحجر الذي يمثل السلاح المتصدي لرد الظلم الواقع على شعب فلسطين، " وقد ارتبطت الانتفاضة بالحجر، فسميت أيضا ثورة الحجارة، ومثلت صورة مقاومة شعبية شاملة، اتسعت لتشمل أنحاء فلسطين، مثلما شاركت فيها سائر مكونات المجتمع الفلسطيني ومختلف أجياله"[٢].

وصورة أخرى موحية بأن الشعب الفلسطيني صامد في وجه التحديات، ذلك الجد الذي كان يخاف الموت ويخاف الظلام، إلا أن حقيقة الأمر أنه يخاف أن يأتيه الموت خلسة من بين الظلام يسرق منه الحياة فيموت على فراشه إذ يريد الموت مدافعا عن وطنه وعلى أرض

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٢

(٢) محمد عبيد الله، **فلسطين في القصة القصيرة الأردنية**، مرجع سابق، ص١٧١.

المعركة يفدي فلسطين بروحه، فهذا رمز للصمود المتوارث عبر الأجيال لخلاص فلسطين من يد الغاصب المحتل، فيقول الشاعر في قصيدة " قنديل قي الذاكرة ":

كان في قريتنا .. جدي لأمي

يتوقى من قدوم الموت ليلا

يفتح الباب عليه وهو نائم

كان جدي ... من حديث الموت في الليل يخاف

فيواري روحه تحت اللحاف

قلت : يا جدي ..

لماذا ترهب الموت ،

وكل الناس أسراه بسجن واسع ... يدعى الحياة ...؟

قال جدي :

لا أحب الموت أن يأتي بنومي ... مثل لص يرتدي ثوب الظلام

يقبض الروح ويمضي ... تاركا جثمان عشقي في المنام

دون أن ألقي بروحي لحظة الموت على وجه فلسطين السلام. " [١]

فمن خلال الصور التي يكثفها الشاعر لرسم صورة كلية وهي الموت بعيدا عن الوطن، استطاع التأكيد على أن الصمود والانتفاضة هما السبيل لتحقيق خلاص الشعب من الظلم، ومن حياة التشرد والنفي التي أصابت الشعب بأكمله، وجعلت من الحزن إرثا متوارثا عبر الأجيال، فهذا الحوار الدال على التفاعل بين الأجيال، يبرز صمود الأجداد والآباء والأبناء، و يُظهر أن الإنسان الفلسطيني فتى ورجلا وكهلا لن ينسى، ولا يخون أمه فلسطين، ويبقى حالما بالعودة لها.

---

(١) علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي**، مصدر سابق، ص٦٢-٦٣.

رابعا: الحلم بالعودة

إن لذكريات الماضي والحنين لها الأثر الواضح في الشعر، تلك الذكريات التي لم تزل في نفس الشاعر هي الملاذ بعد غربة دامت طويلا، فمن خلالها استطاع الشاعر أن يعبر عن حنينه لوطنه المسلوب، فبعد أن ينفى الإنسان ويستمر النفي زمنا طويلا فإنه يرى بعينه وطنه كما هو رغم كل التغيرات والتبدل الذي يكون أصابه، فالمنفي يرفض الاعتراف بهذه التغيرات ويبقى يناجي ذكريات الطفولة مبينا حنينه الخاص بسبب خصوصية القضية،" فالوطن الذي كانت له صورة معينة، في وقت معين، لم يعد كذلك؛ لأنه في حالة تبدل دائم، الأمر الذي يرفض المنفي الاعتراف به، أو التعامل مع الصورة المتغيرة، وفي محاولة لتأكيد هذه الحقيقة يسرف الكاتب المنفي في استعادة تفاصيل ذلك الوطن كما عرفه، وكما عاشه، وهذا يعني استعادة ليس فقط طفولة المنفي وإنما طفولة الوطن أو على الأقل إحدى مراحل حياته"[1]، فحديث الشاعر عن وطنه ومناجاته من بلاد الغربة حديث شوق وحنين للوطن بكل تفاصيله التي عاشها في الماضي في وطنه المسلوب، فيتحدث الشاعر عن بلدته "بتير" وعن أماكن كثيرة في فلسطين، وحزنه على ما تتعرض له هذه الأماكن، فحنينه لها متأججٌ رغم الحواجز التي تحول بينه وبين وطنه.

أما حلم العودة هذا الحلم الذي يمثل الأمل والمعين في الصبر على ظلم المنفى وقهره، فقد عبر عنه الشاعر مبينا حلاوة اللقاء، وأن اللقاء لابد له من تضحية من خلال الانتفاضة على الهوان، والتحدي لكل المعيقات فالحلم بالعودة لابد له من عمل وصبر وحث للجهود للوصول إليه، فشحذ الشعب بتذكيرهم بعروبتهم وأرضهم وأهلهم، واستقاء الأمل يكون من الأجيال القادمة من الأطفال الذين هم أمل المستقبل، فهذا الحلم هو متوارث عبر الأجيال، فقد زرعه الأجداد ويصر الآباء على أن يحققه الأبناء، فحلم العودة هو حلم لوحدة الكلمة على أرض فلسطين والتكاتف للتخلص من العدو الغاصب لخيرات الوطن .

كما أن المنفى كان له جانب من شعر البتيري، كان لا بد وبإحساس صادق أن يعبر عن حلم العودة عند الشعب الفلسطيني، فالشاعر يتنقل ولهاً مشتاقا لوطنه كطائر ليس له مقر يأمل بالعودة إلى وطنه، فهو لسان حال الشعب في بيان حنينهم من بلاد الغربة وحبهم للعودة المرجوة إلى وطنهم، فمن هنا يهدي بقصيدة إلى شقيقه الأكبر تحت عنوان "عيناك جمرتان" ، يقول فيها :

---

[1] عبد الرحمن منيف، **الكاتب والمنفى هموم وأفاق الرواية العربية**، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ١٩٩٤م، ص١٠١.

بتير كنت بسمة على فم الهوى

تدغدغ العيون والمشاعر

وكنت طفلة صغيرة الرموش والضفائر

وكنت لوحة ريفية الإطار . .

مرسومة على فؤاد شاعر

واليوم يا مفجوعة الربيع ، يا جريحة المناظر

أراك بعد كبوة الجواد

تدفنين دمعك البريء في مواقد البكاء . . [١]

إن"صدق التجربة،أحد العوامل البارزة على النضج الفكري للشعراء...، والتجربة الذاتية لدى بعض الشعراء، ما هي غلا صورة من تجارب تحدث لأبناء الشعب الفلسطيني الباحث عن الحرية"[٢]، ومن هنا يخاطب الشاعر بلدته التي نسب إليها حبا واشتياقا لها فينتابه الحنين مؤكدا بأنه ما زال يحمل قلب ذلك الطفل الذي ترعرع فيها وما زالت الذكرى تؤرقه حنينا وحبا لها، ثم يبين حالها اليوم وهو بعيد عنها وكل الشعب منفيا، فقد عبر عن صورة قريته قبل الاحتلال بحلتها وبهائها وصورتها بعد الاحتلال وما حل بها من هوان، هذا النفي الذي جعله كطائر مسافر ليس له أي قرار يرنو إليها بحب وأمل وشوق، فهو سندباد الحالم بالعودة وتخليص البلاد، فيقول:

حزنا على المسافر الذي أثار دهشة البحار . .

ولم يعد له في لجة النوى قرار . .

عيناه ترصدان الفرقد البعيد

وقلبه المقدود من حديد سلاحه الوحيد

---

(١) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص٦٣

(٢) يحيى الأغا، **إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر**، دار الثقافة، الدوحة قطر، ١٩٩٧م، ص٢٧٠-٢٧١.

فإن تعربد الرياح . . وترقص الأمواج . .

فقلبه المقدود من حديد

يضل يا حبيبتي مجدِّفا

رجاء بسمة على شفاه مرفأ جديد ! [١]

فالشاعر يصور حاله سندباد الحالم الذي يتنقل بين البحار دونما استقرار[٢]، وقلبه متعلقا بوطنه الذي يأمل بالعودة إليه، ويسعى لذلك الرجوع بفرح وتفاؤل، فها هو المسافر يأمل بالعودة وينتابه الحنين فهو كالبحار ينتقل من شاطئ إلى آخر وصورة فلسطين نصب عينه، ولا يملك إلا الحب والشوق والحنين يحلم بالوصول إلى مرفأ الحبيبة فلسطين آملا بالعودة وتحقيق الحلم.

ومن مظاهر الحنين وحلم العودة أن يتحدث الشاعر عن كل جزئية في وصف الوطن، فيتذكر فلسطين الأم الكبيرة بزيتونها وخصبها حيث حال بينها وبين كل من نفي ذلك المحتل الغاصب، فكل من حاول عبور ذلك الجسر الواصل ما بين بلاد الغربة وفلسطين، ذالك الطريق الذي يربط البعد المنفي بأمه فلسطين، يتعرض لمواجهة جدران المحتل الغاصب؛ فيعود للوراء لكن يحدوه الأمل باللقاء يوما، ويبقى ينظر إلى فلسطين والشوق يؤرقه، فيقول :

بالأمس يا عروس خاطري الأسير ة

يا مرفأ الهوى ... يا أمي الكبيرة

حملت جعبة الأشواق من بعيد . . وطرت ،

والزيتون في عينيك يستفزني

للخطوة الموتورة الجسورة

لكنما الغارات أتلفت معابر الطيور.

فعدت للوراء ، عندما أطل ألف حائط مسلح على الجسور.. [٣]

---

(١) المصدر السابق، ص٦٤-٦٥.

(٣) المصدر ذاته، ص ٦٥.

(٢) انظر يوسف أبو صبيح، **المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر**، مرجع سابق، ص٢٣٠.

ويشير الشاعر إلى الحصار المسلح الذي يحيط بفلسطين، فرغم كل هذه الصعوبات والتحديات المعيقة يبقى الشاعر يحلم بالعودة واللقاء بأمه فلسطين، ويشير إلى أن الطريقة المثلى للقاء هي تلك الانتفاضة التي ترفض الهوان وتسعى للخلاص والتحدي، والتي يأمل بها أبناء الشعب من غربتهم، ففلسطين تمثل النور الذي يحيون به، وهي الأم التي يشتاقون أن تحتضنهم، فيقول :

"لكني أقسمت بالعبور

ففي الصباح . . في المساء . . في مفازة الظهيرة

تطلعي إلى السماء مرة ، فمرة

ترينني مرفرفا إليك .

سابحا على سحابة مطيرة

فيولد اللقاء من جديد

وحسبنا يا قريتي أن يولد اللقاء من جديد [١]

فعلى البعد والحرمان ورغم الحائل الذي يمنع الشاعر من العودة إلى وطنه، إلا أنه يقسم على العودة في أحد الأيام آملا بالمستقبل، وفي وضح النهار حيث يسود الأمن والسلام، ويكتفي بولادة اللقاء الذي يتمثل بولادة الانتفاضة، ويعود الشاعر مخاطبا قريته من بلاد الغربة وأنها ستبقى في ذاكرته، ويصورها حين تضم بين أحضانها انتفاضة للخلاص من الهوان الذي يسيطر، ويصور ابنها الناظر لها من بلاد الغربة وعيناه تحترقان شوقا وحنينا للقاء بها لقاء الطفل بأمه الحانية، فيقول :

عيناك يا بتير جدولان

عيناك للغريب في بوابة الظلام فرقدان

عيناك فيهما نقاوة الحقول والجنان

---

(١) المصدر السابق، ص٦٦

وفيهما انتفاضة أصيلة على مواسم الهوان

عيناك مشعلان يصهران حملة الجليد

عيناك . . في عباءة الهموم جمرتان [١]

" الأمل موجود في عيون الوطن، فعيون وطنه رغم الهموم جمرتان، ورغم الألم والضياع والهزيمة نراهما تصهران الجليد، وتكافحا الظلم والإرهاب والقتل والعقاب الجماعي"[٢]، وفي الحديث عن شوقه لوطنه الذي يحول بينهما المحتل الغاصب، يظهر الشاعر معاتبا نفسه متسائلا متى، وكيف العبور واللقاء؟، فحنينه هو حنين شعب قد غدا غريبا منفيا، ويكرر الشاعر رمز الطائر الذي يعبر به عن التنقل الدائم من منفى إلى آخر فيقول في قصيدة " أغنيات مبحرة ليلا" هذه القصيدة التي يصور الشاعر من خلالها أن كلامه مرسل إلى وطنه ليلا عله يلاقي التسلل عبر الميناء الذي يعج بالصهاينة:

من أين يعبر طائر الأحزان في صدري

إلى جزر الأحبة . .

وموانئ العشاق سدت بالأعاصير الوبيلة

ومن أين يعبر طائري

والمد يفتح للأسى المشبوب قلبه

فتلوب كل زوارق الأشواق في المدن العليلة

ويعاتب الجرح المتمتم في محاريب الهوى المنذور دربه ؟ [٣]

وقد ذكر مدن فلسطين مبينا ما حل بها، ومشيرا إلى تمسك الشعب بوطنه من كل المناطق، فعلى الرغم من النفي والتشريد، فالحنين صورة تبقى في القلب والأمل بالرجوع قائم رغم كل ما تتعرض له البلاد، فيقول:

---

(١) المصدر السابق، ص٦٦-٦٧

(٢) عبد الله الشحام، قراءة في " لوحات تحت المطر"، عمان المساء،١٩٧٣/٩/٢٢م.

(٣) المصدر ذاته، ص١٥

قالوا بأنك تفرشين لبائع الآلام

آلاف الضلوع

قالوا بأنك في أريحا

تغسلين جدائل الليمون بالمطر المهاجر

في قطرات الدموع

قالوا بأنك في الخليل حبيبتي

زيتونة عجفاء ، دامية الفروع

قالو بأنك ليلة مسبية في بيت لحم

تبيت مطفأة الشموع [١]

وبعد أن يتحدث الشاعر عن مدن فلسطين، ويذكر ما تمتاز، فأريحا بالليمون، والخليل بالزيتون، وبيت لحم بطقوسها الدينية، فهذه الصور الحزينة المحملة بالألم رمز بها الشاعر لعودتها إلى سالف نعيمها وأمنها وسعادة شعبها، ثم ينتقل الشاعر لبيان روح الأمل في العودة، فيقول:

قالوا ...

وغالوا في الهوى

يا بهجة الحب الدفين

فأجبتهم : هي نبعة في القلب ، تجري في شراييني

وصمت الخافق المنفي يومئ بالحنين إلى الرجوع [٢]

فهذا التوحد بين مناطق فلسطين قاطبة، يمثل الحنين الذي يكنه الشعب لوطنه، وبكل قلب خافق منفي تبقى فلسطين فيه ويحلم بالرجوع إليها منتصرا محررا لها من يد الغاصب المحتل،

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠. (٢) المصدر ذاته ص٢١.

فذكره للمناطق يؤكد على وحدة فلسطين، وإلى أن كل مناطقها تتعرض للظلم والعدوان وأن أبناء فلسطين الذين نفوا يجمعهم الحنين وحلم العودة إلى بلادهم، فهذه إشارة لما يتعرض له الشعب في أريحا، ومعاناة أهل بيت لحم، ومجزرة الخليل الدامية،" فالطفل الذي يولد لأبوين فلسطينيين، سواء في الداخل أو في المنفى يعتبر من فوره فردا من أفراد الشعب الفلسطيني، فلا يسقط عنه بحكم نسبه حقه السياسي مهما كانت وثيقة السفر التي يحملها...، وهذا الفرد يؤمن بأن الشعب الفلسطيني كان قد جرّد من وطنه فلسطين، وشرّد في آفاق الأرض، وحرم من حقوقه السياسية الأولية ومنها حق العودة وتقرير المصير، والحق بأن تكون له دولته، وعلى هذا استقر في ضمير الفلسطينيين أنهم أمة بلا دولة تكافح من أجل استرداد حقها بإقامة دولتها في فلسطين"[١].

وبرسالة إلى فلسطين "أمي وراء النهر" يخاطبها الشاعر ويحدوه الشوق والحنين إلى وطنه وأهله وهو في بلاد الغربة، فيطلب من أمه أن تقول إلى كل من يسأل عنه أنه سيعود وفي قلبه الحب راغبا في الثأر من كل غاصب ظالم، وباحثا عن الفرحة التي تغسل الحزن القابع في القلب؛ لتعم الفرحة الزهور والطيور والحدائق، فيقول في قصيدة يرسلها إلى فلسطين بنص صريح" أمي وراء النهر":

إذا جاءوك يا أمي ... صباح العيد للدار

وحيوا قلبك المصلوب فوق جدارنا العاري

وراحوا من لظى عينيك يستقصون أخباري

أجيبيهم .... أجيبيهم

بأن حبيبك المهجور صار اليوم مسكونا

بكل مواقد الثأر.. أجيبيهم

بأن الفرحة العذراء .. يوم تهل رايته ،

فتضحك في يد اللقيا أكاليلي وأزهاري

وتصدح في حدائق حبنا الخرساء أطياري [٢]

---

[٢] سميح فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص ٤١ص٤٢.

[١] المصدر السابق، ص٣٧-٣٨.

ومن هنا يبين الشاعر روح الإحساس بالمسؤولية التي يتحملها أبناء الشعب الفلسطيني في بدء الثورة وتحقيق أمل العودة، وتحرير البلاد ليسود الأمن وتعم السعادة، وها هو الشاعر في بلاد الغربة ينتظر إلى يوم اللقاء ويشتم تراب الوطن المغدور وأمله مع كل رسالة بالعودة ، فيبكي شوقا وحزنا وألما، فيقول :

أجيبيهم .. بأن بريد غربتنا

رمى برسالة خضراء في حجري

عليها برد كانون.

و فيها دفء أيار

رحلت على فواصلها

و فوق حروفها الظمأى إلى عيني

فاضت كل أنهاري ... [1]

ويبشر الشاعر فلسطين بأنه عائد، وأن شعب فلسطين المنفي المشرد عن بلده سيعود إلى وطنه، فالنصر قادم وستزين الفرحة البلاد، ويتحرر الشعب ويخرجون من الخنادق إلى النور، فرغم أن التحديات كبيرة إلا أن الشاعر يستقي الأمل من نظرات الأطفال للوصول إلى لقاء فلسطين وتحقيق النصر، فيقول :

تقول قصائدي في الهجر

يا أحباب ! يا أحباب !

من الخندق . . ومن جرحي . .

رسمت بطاقة حمراء موتورة

أبشر جذرنا الباكي وراء النهر

---

[1] المصدر السابق، ص٣٨-٣٩.

لكني ..

أضعت حرارة البشرى

وغاضت في فمي الكلمات والصورة !

فعدت ألملم الإصرار من حدقات أطفالي

وجئت إليك يا أماه محتضنا

كنوز النصر ، المحه

يرفرف على جبين الأرض إكليلا

فإكليلا من الغار [١]

وهنا يرسم الشاعر صورة اللقاء من المخيلة، فهذه الصورة تبين ما يأمل إليه شعب فلسطين وتوضح قوة العاطفة التي تسيطر على في التعبير عن حب العودة للوطن والعيش في أمن واستقرار على أرض فلسطين، والأمل أن تسودها السكينة والسلام.

ومن الغربة يكتب الشاعر على الصخر انتظار اللقاء، يكتب للتاريخ قضية الحصار والدمار والمنفى، إلى أن تأتي الأجيال القادمة، فهي بشارة النصر رغم أن الجدار مائل والحصار قائم، فقضية فلسطين سيخلدها التاريخ؛ لأنها غربة جماعية غربة شعب بأكمله[٢]، والأمل بالرجوع هو حلم كل عربي نفي من وطنه فالعودة إلى فلسطين حلم يغرسه الشاعر في نفوس أولاده ينمو معهم ويكبر إلى أن يتحقق، فيقول في قصيدة " نقش أخير" :

يأكل الأزميل من قلبي

ومن لحم الجدار

غير أني مولع بالنقش

من غربة كنعان إلى عهد الحصار

---

(١) المصدر السابق، ص٣٩-٤٠

(٢) ماهر حسن فهمي، **الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث**، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م،ص٥.

لا تقولي ..

ليس تحت الضرب بالأزميل طائل

أن أكتب تاريخا لعينيك

سيأتي . . .

يتخطى الليل والحفر وثارات القبائل

ويدي تنبت للسمراء وجها قمريا

في جدار موحش الهيئة مائل [١]

ومن حنين الشاعر لوطنه يخاطب فلسطين بصورة الحبيبة الغائبة خطابا تجتاز الكلمة فيه المسافات؛ لتنقل أشواقه لها ويطلبها أن تطمئنه فهو يخشى الموت قبل اللقاء، ويؤكد لها أنه في حنين وحب دائم للعودة ويبين أنه مهما كتب فلا يستطيع على التعبير عن حنينه وشوقه لها، وهنا" تحضر الصورة البعيدة، والوجوه التي يحب، لكن لا مواصلات أو هواتف في المنفى، وليس إلا الشبح الغريب"[٢]، فيقول في قصيدة " شمس حائرة ":

لا تقولي ...

صارت الأقلام أصناما جديدة

اكتبي لي من بعيد .. يا بعيدة ...

روعة الكلمة أن تنقل بوحا داميا

ما بين قلبين وتجتاز مسافات عنيدة

ارسمي لي لعذابي دائرة ...

ولخوفي من ممات دون عينيك

---

[١] علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده** مصدر سابق، ص٣٤-٣٥.

[٢] محمد القيسي، مقالة بعنوان: **من غربة كنعان حتى وعي المنفى – قراءة انطباعية في ديوان " المتوسط يحضن أولاده"**، جريدة الرأي الأردنية ١٩٨٢/٨/٢٢م

ارسمي لي دائرة بيننا، يا عذبة الوجه

و بين الفرح المسبي شمس حائرة

و سطور لم نقلها

بقيت تحمل سر الوطن الحامل في الدنيا

عذاب الآخرة .. [١]

وبمودة ونفس حزين يأمل أن يعود قبل الموت ليموت على ثرى فلسطين، فيحن للموت إذ أنه عاش غريبا منفيا فالموت على ثرى فلسطين يعدل سنين عمره التي مضت في بلاد الغربة، فيقول في قصيدة "مزمور الموت في الغربة ":

" ذاكرتي . . يشهد أني

سوف أعرى صرختها المطمورة

في أقبية الموت المعلن في أعراس فلسطين . .

فحنيني في سكرات الموت إليها

يتصدر حلقات الغرباء الموتى، والموتى الغرباء

يرتاد رؤى الشعراء الغرباء المحترفين إلى

وطن يؤويهم فيقيهم ذل الحرف المتسكع ..

من حول كؤوس القراء المخمورين

من يرتشفون الشعر مع الخمر

وأعينهم في مدن الليل المتبرج

تتمرغ حالمة ما بين الزوبعة الليلية .. والطين . . [٢]

---

[١] المصدر السابق، ص٨٣-٨٤.

[٢] المصدر ذاته، ص١٠٦-١٠٧.

فحنين الشاعر إلى وطنه الأم التي تأوي أولادها من ذل المنفى والغربة يظهر في أصعب لحظات الحياة عند الموت، حيث تبقى فلسطين نصب عين المنفي حتى في أحنك الأوقات وأشدها، فهذه الصورة التي رسمها الشاعر يؤكد فيها تعلق الفلسطيني بوطنه وإيمانه بقضيته، والعودة من الغربة إلى الوطن هي الحق في تقرير المصير .

ويخاطب الشاعر فلسطين يا بلادي وراء النهر انتظري وانظري إلى الشرق لتستقبلي أبناء شعبك الفاتحين، فها هي بشرى الفتح والنصر والخلاص من أسر الغاصب، فلا بد للغضب وللقتال وللتضحية للخلاص وتحقيق الحلم، فالحنين يقود للقاء الذي يتطلب تضحية لتحقيقه وتحرير فلسطين[١]، فبكل هذه المشاعر يخاطب الشاعر فلسطين في قصيدة" مقاطع حب لعينيها"، ويقول :

افتحي في الأفق الشرقي شباكا صغيرا

أو كبيرا . . .

واسألي في باب مصر الفاتحين

واسألي في ليل حيفا العاشقين

عن أوان الغضب الناهض من كل المعاقل

أو ما شفت قبور الشهداء الطيبين

كيف صارت في زمان النطق بالنار

متاريس وأشواقا لعينيك تصلي

وتقاتل ؟ ! [٢]

ومرة أخرى يخاطب الشاعر فلسطين ويخبرها بأن كل طائر مشرد جريح في بلاد الغربة عائد إلى فلسطين ويحدوه الأمل بأن تحتضنه تاركا غربته ويأتيك مقاتلا يريد أن يخوض المقاومة فرغم تأخره في بلاد المنفى إلا أن قلبه مكلل بالشوق والحنين، فيقول الشاعر

---

(١) انظر يوسف أبو صبيح، **المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر**، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص١١٤

في قصيدة " نجوم حبيبتي لا تمطر حزنا" :

يجيئك طير المنافي المضيع

وثبا على مدرج الريح يأتي

فخوضا لدوامة الدم والنار يأتي

فقطعا لتغريبة الهجر يهبط

والصدر منه اكتسى بوميض الجرح . . [١]

ها هو الشاعر يحمل حلم العودة ذلك الحلم الذي حمله أبوه وكل فرد من الشعب الذي نزح إلى المنفى، فحب الوطن موروث من الآباء إلى الأبناء فالحلم متجدد مستمر من جيل إلى جيل، فإن مظاهر الحلم بالعودة هي بقاء هذا الحلم في الأجيال حتى وإن لم يعرفوها إلا في أذهان آبائهم، فهذا الشوق يغرسه الآباء في الأبناء من خلال الذاكرة والحديث عن فلسطين، وتأكيد حقهم في الرجوع، وإيمانهم بالنصر يوما، وفي ذلك يقول الشاعر في قصيدة "حالمة بالاستيقاظ":

أنا سيد العاشقين اليتامى

ادّعتني طقوس الوصاية

قيل قبيل المسير

صغير على الهم

والغربة المستدامة ،

أكثر من مأتم قيل لي فيه.. أن أبي

مات بالعشق مستبسلا في الطريق إلى قلب أمي

وورثني سيفه والقميص المبقع بالدم ،

والمهرجان المشجر بالأغنيات . . [٢]

---

[١] المصدر السابق، ص١٢١.

[٢] علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي**، مصدر سابق، ص٥٠-٥١

هذا هو اليتيم الصغير الذي لا يقوى على الغربة والهم يتنقل من منفى إلى أخر منذ أن غادر بلاده مرغما على ذلك، فبعد موت أبيه الذي جاهد وصبر، ثم مات قبل تحقيق هذا الحلم حلم الرجوع إلى الوطن، ولم يترك لولده سوى الحلم، فالحلم هو كل ما ورثه الابن عن والده، ويقول الشاعر:

وحملني في الوصية صندوق عشق

به خصلة من ضفائر أحلا الجميلات

ملفوفة بقصائد حب خجول

وها أنا أخرج من جنة الحلم وحدي

وبين يدي أطمئن صندوق عشق أبي

ولا شيء يقلق خطوي

سوى أن قلبي صغير على اليتم والجوع ... والاغتراب . . [١]

ويخاطب الشاعر فلسطين ويطلب إليها أن تتذكره لأنها في ذاكرته لا تزول وهو في دوام التنقل عبر المنافي، فيقول في قصيدة " لماذا " :

أريدك أن تذكريني

إذا ما تعثر ورد الصباح بنرجس عينيك

في أي منفى .. ولو كنت في عالم النفي فردا . .

فإني حشدت على الجسر ذكراك جيشا

من العاشقين اليتامى . . .

هيأت قلب الخريف المدمى ربيعا .. لعيد انتظارك [٢]

---

[١] المصدر السابق، ص٥١.

[٢] المصدر ذاته، ص٦٦-٦٧

فيطلبها أن تذكره فهو ليس وحده في المنفى، بل هو فرد من جماعة من الذين تعرضوا لليتم والجوع في الغربة لكنهم يصبرون، ويأملون بالعودة إلى وطنهم لتنتهي القطيعة، ويعود الوصل مجددا، ويفرحون باللقاء، فيقول في حب العودة وأمله في ذلك :

أجيئك من أخر الحزن

أواخر الأرض .. جثة صب عتيق . .

تحاذر في بحر عينيك جزرا

وتعشق مدا

أجيئك قبل انطفاء القناديل

في غفوة العمر

حرا . . أسيرا ، طريدا . .

شهيدا أجيء ألست أميرة حبي المفدى ؟ ! [١]

فالشوق للوطن يجعله يعد فلسطين بالعودة من حزن الغربة، فيأتي حرا، أو أسيرا، أو طريدا، بل يؤكد ذلك بأن يأتي شهيدا، فمن حنينه وحبه أراد أن يقدم روحه فداء لها، فيؤكد أن قدومه قبل أن يفوته العمر، فالوطن هو الشاعر، والشاعر هو الوطن[٢].

ويتساءل الشاعر عن موعد العودة وذلك بلسان فلسطين التي تنتظر قدوم أبناءها وذلك عندما جاءته في منامه الأخير في قصيدة "رؤيا أخيرة" يبين ذلك فيقول :

متى ينهض الشوق فيك
ويعلن أن الفؤاد الذي أدمن الاغتراب
توضأ من دمعة الفجر بين الضلوع
وصلى وتاب . . ؟ [٣]

---

(١) المصدر السابق، ص٦٩ (٣) المصدر ذاته، ص٨١.

(٢) انظر، يحيا الأغا، جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط١، دار الثقافة، الدوحة قطر، ١٩٩٦م، ص١٤٢.

فهذا حث من فلسطين لأبنائها على العودة إذ تستنهض الهمم للعودة بشوق، وكما صور الشاعر نفسه المحب الذي يعاني فراق الحبيبة، فقد جعل من فلسطين الحبيبة التي تعبر بشوق عن طول الانتظار والأمل بلقاء ولدها بعد الغياب والحرمان والعذاب فهي أم قابعة بانتظار اللقاء بأولادها .

ويأخذ الحنين الشاعر إلى أمه بشوق فيخاطب الموت ويحلم بالرجوع إلى حضن أمه فلسطين، فيقول في قصيدة "طريق إلى فرحة القلب" واصفا خوفه من أن يأتيه الموت قبل الوصول إلى فلسطين :

يا موت إني أرى

في سماء احتراقي طيورا

تغني لطفل الرحيل

الذي شاخ فيه الحنين

إلى أمه الصابرة

فهل من رجوع

لزحف ظلالك يا أيها الموت

حتى يحين انبعاثي

على صدر أمي

وهل من دروب وراء انحسارك

تفضي إلى الذاكرة . . . [١]

وعلى الرغم من الأمل إلا أن الحيرة تملأ قلب الشاعر فهل الموت أسبق أم يتحقق حلم العودة الذي يطمح إليه كل الشعب، الحلم الذي يقبع نصب عين كل غريب نفي عن وطنه إلى

---

(١) علي البتيري، **شبابيك أتعبها الانتظار**،مصدر سابق، ص٣٤-٣٥

بلاد الغربة، فيقول في قصيدة "مكاتيب أمي":

كبرت أمي كثيرا دون نصر أو هزيمة

وأنا أيضا تدثرت بأوراق الخريف

أترى تجمعنا الدار على

بوابة العمر القديمة

أم هو الموت سيأتي مثل لص

كاتم الخطو خفيف ؟! [١]

ومن بعد ثلاثين عاما يترنم حلم العودة في نفس الشاعر فتعود به الذاكرة إلى طفولته في ربوع الوطن السليب، وهو في حنين إلى تلك الأيام، ويشتاق للعودة بعد طول غياب في غربة المنفى،" فغربته الطويلة من الصعب أن تنتهي، فغربة الفلسطيني عن وطن يحتله عدو يرفض الاعتراف له بحق العودة إلى وطنه، والتي من دونها لا تنتهي غربته"[٢]، فيقول في قصيدة "النبع الأول" :

أقترب كثيرا

من نبع الحب الأول.. أملأ كفي وأشرب

بعد ثلاثين سنة

فيعود لصفصافة روحي رونقها

و أشاهدني طفلا

في أوج براءته يهمس لي :

دعني أبترد بماء النبع الأول [٣]

---

(١) المصدر السابق، ص٧٤.

(٢) انظر عبد الفتاح النجار، **التجديد في الشعر الأردني، مرجع سابق**، ص٢٣٥.

(٣) المصدر ذاته، رص٨٠

ويكبر حلم الشاعر بالعودة إذ يتطلع إلى أن يلتقي أبناء فلسطين على ترابها من كل صوب، وتكون كلمتهم واحدة فيقول في قصيدة "يحدث في زمن الدهشة القادم" :

ويحدث أن يلتقي

حكماء فلسطين

من ألف لحد وسجن ومنفى

على حكمة واحدة . . . ! [١]

فهذا اللقاء هو لقاء على العودة لفلسطين والخلاص من كل ظلم يتعرض له أبناء الشعب، وكل فقر وقهر ومنفى، وذلك بأن تتوحد كلمة أبناء الشعب، فالإشارة هنا للتوحد إذ أن الخلاص هو في تحقيق هذا الحلم الذي يتطلب أن تذوب كل الفوارق والخلافات بين أبناء فلسطين، فالهدف الأسمى هو العودة إلى الوطن وتحريره من أيدي الطغاة الغاصبين.

وجملة القول أن البتيري استطاع بث روح الأمل في تحقيق حلم العودة، وتناول صورة فلسطين الأم والمعشوقة التي يحلم بالعودة لها كل فلسطيني أورث حلمه لأبنائه عبر الزمن.

---

[٢] المصدر السابق، ص٤٧.

الفصل الثاني : دراسة موضوعية في شعر علي البتيري الموجه للأطفال:

توطئة:

أدب الأطفال : هو " كل ما يكتب للطفل وما يكتب عن الطفل في آن واحد، وفي مختلف فروع الثقافة الإنسانية."[١] وهذا المفهوم لا يخرج عن دائرة ثقافة الطفل وروافدها من مجلات وكتب وأفلام وأغاني وكل ما ينمي الثقافة لدى الطفل .

وفي بيان لمفهوم أدب الأطفال وفق شروط تميزه عن أدب الكبار، هو: كتابة نوع من أنواع الأدب نثرا أو شعرا وفق عدد من الشروط، وهي أن يتسم بالوضوح والتدرج في المستوى اللغوي، وبأسلوب فني يتناسب وعالم الطفل، ويهدف إلى التنمية العاطفية والنفسية والفكرية واللغوية، وفهم الطفل لبيئته ووسطه الاجتماعي وتنمية القيم الدينية والتراثية. [٢]

أما الهدف من الكتابة للأطفال، فيظهر من خلال الشروط التي تميز أدب الأطفال، حيث تركز على تقوية الملكة اللغوية للطفل، ومدى التأثير في نفس الطفل من انفعالات وعواطف وتوجيهها الوجه السليمة، وتنمية القيم التي تشبع حاجات الطفل السلوكية، وتنمية ملكة الذوق لدى الطفل . [٣]

أما نشأة أدب الأطفال في الوطن العربي، فقد بدأ الاهتمام به جليا في الخمسينيات من القرن العشرين حيث تولت دار المعارف بمصر نشر القصص والسير الدينية والتاريخية، وفي لبنان ظهرت أكثر من عشرين دارا تصدر كتبا للأطفال لمختلف الأعمار، ومنها متخصصة في مجال أدب الأطفال مثل "دار الفتى العربي"، أما المرحلة الثانية :" فيمثلها كامل كيلاني المتوفى (١٩٥٩) ويعتبر الأب الشرعي لأدب الأطفال في العالم العربي من قبل العديد من الباحثين، فقد تطور بالمحاولات الأولى ذات الطابع التوجيهي التعليمي المباشر إلى مرحلة جديدة تقوم على التنشئة والتربية بواسطة الإيحاء لا الإملاء، وجمع بين الترجمة والتأليف، ووضع ما يقارب من مائتي قصة ومسرحية كان أولها السندباد البحري عام ١٩٢٧م". [٤]

---

(١) أحمد المصلح، أدب الأطفال في الأردن ١٩٧٧-١٩٩٨ دراسة تطبيقية، ط٢، وزارة الثقافة، عمان،١٩٩٩م، ص١٧. وانظر هيفاء شرايحة، أدب الأطفال وكتباتهم، ط١، مركز هيا الثقافي، عمان، ١٩٧٨م،ص٩.

(٢) محمد صالح الشنطي، في أدب الأطفال أسسه وتطوره وفنونه وقضاياه، ط١، دار الأندلس، السعودية، ١٩٩٦م،ص٥٧-٥٨.

(٣) أحمد المصلح، المرجع ذاته، ص٢٢-٢٥. وللمزيد راجع أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر،مصر،د.ت،ص٤٥.

(٤) محمد الشنطي، المرجع ذاته، ص١٨٥.

وظهرت الكتابة للأطفال في الستينيات من القرن العشرين في سوريا وكان أبرز كتابها عادل أبو شنب الذي كتب مسرحية "الفصل الجميل" عام ١٩٦٠م، وكان عبد الكريم الكرمي شاعر فلسطين أول من أصدر ديوانا خاصا قائما بذاته في أدب الأطفال، وحذا حذوه الشاعر سليمان العيسى الذي نذر نفسه لأدب الأطفال وذلك في أعقاب نكبة حزيران عام ١٩٦٧م،[١] والذي يقول في مسألة الكتابة للأطفال التي تمثل مسألة وجود:" قدماي مغروزتان أبدا في المستقبل، وفي طاقات هذه الأمة المنكوبة الممزقة الرائعة، أمتي العربية وطاقات هذه الأمة ليست شعرا ولا خيالا إنها أغنى وأكبر من الشعر ومن الخيال أكبر منا جميعا؛ ولذلك وجدتني أتجه بكل ما أملك إلى الطفولة إلى هذه الطاقات القادمة التي لا تنتهي ".[٢]

بدأ أدب الأطفال الأردني كأدب منظم يشكل كما ونوعا يمكن الإشارة إليه بداية متأخرة عن الأدب في بعض الدول العربية الأخرى، وقد نشأة كتابة أدب الأطفال في الأردن على مراحل وهي:[٣]

المرحلة الأولى: بدايات تأسيس المملكة حتى ١٩٧٧م، وفي هذه الفترة، ظهرت تجارب شخصية متناثرة، وظهرت كتب لمجموعة من الكتاب والأدباء، منهم: الشيخ إبراهيم القطان، محمد العناني، جهاد حتر، روكس العزيزي، راضي عبد الهادي، عيسى الناعوري، الشيخ يوسف العظم، واصف الفاخوري، وغيرهم، وبالرجوع إلى الكتب التي تناولت أدب الأطفال الأردني يتبين أن من أقدم ما كتب للأطفال في الأردن، وتم توثيقه : روكس العزيزي أصدر كتابه الأول للأطفال ١٩٣٥م، راضي عبد الهادي ١٩٤٥م، فايز الغول ١٩٦٥م، عيسى الناعوري ١٩٦٣م، ويقول روكس بن زايد العزيزي حول التوجه نحو أدب الأطفال:" وقد احتفى أدبنا بالطفل يوم اعتبر عالم الطفل عالما مقدسا فاتخذ الأدباء من الطفل منطلقا لبث آرائهم السياسية والاجتماعية، وجعلوا الطفل رمزا للشعوب المستعبدة والطامحة إلى الاستقلال ثم اتخذوه رمزا للثورة؛ لأنه ينشأ في الخفاء كما تنشأ الثورة سرا، وينمو كما تنمو "[٤]، ومن هنا تظهر دوافع الكتابة في أدب الأطفال والهدف منها.

---

(١) محمد الشنطي،المرجع السابق، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) سليمان العيسى، مقابلة أجرتها معه جريدة الرأي الأردنية، ١٩٨١/١٢/١١.

(٣) محمود أبو فروة الرجبي، أدب الأطفال الأردني خطوات واثقة وأمل واعد، مدونة مكتوب http://mrajaby.maktoobblog.com بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٨م.

(٤) روكس بن زايد العزيزي، الطفل في الأدب العربي، بحث في مؤتمر الأدباء العرب العاشر بالجزائر،١٩٧٥م،كتاب مؤتمر لأدباء العرب العاشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، ١٩٧٥م،ج٣، ص٧٧٧.

المرحلة الثانية: ١٩٧٧- ١٩٩١م، فبعض النقاد يعتبر أن البداية الحقيقية لأدب الأطفال الأردني، كانت في عام ١٩٧٧م، إذ تضافرت خلال ذلك العام وما بعده مجموعة من العوامل التي أعطت دفعة قوية لأدب الأطفال مثل: عام الطفل الدولي، ودخول الجمعية الملكية الأردنية عالم النشر للأطفال في مجال الكتب العلمية، وإصدار مجلة سامر الشهرية للأطفال، وظهور إحدى رائدات أدب الأطفال الأردني روضة الهدهد التي استطاعت أن تنشر عدداً من كتبها بشكل جميل، وفي عام ١٩٧٩م وهي سنة الطفل الدولية، هذه السنة شكلت التفاتة مهمة إلى أدب الأطفال، فقد فتحت المجلات الرسمية التي تصدر عن وزارة الثقافة المجال لنشر الكتابات الموجهة للأطفال بهذه المناسبة، مما لفت نظر عدد من الكتاب والأدباء والمهتمين إلى هذا الأدب الناشئ، ومنهم روضة الهدهد، وتغريد النجار، وأحمد أبو عرقوب ، فهذه الأسماء الثلاثة التي ظهرت في هذا الوقت، إلى جانب أسماء أخرى، ظهرت في الفترة نفسها، أو في السنوات التالية، ساهمت في نقل أدب الأطفال الأردني إلى مرحلة جديدة، ومن هذه الأسماء التي تنشر لأول مرة، أو أنها واصلت مشوارها في إنتاج قصص ومسرحيات وشعر الأطفال، ونذكر منهم: زهير كحالة، يوسف العظم، شحادة الناطور، فخري قعوار، كمال رشيد، شهلا الكيالي، يوسف حمدان، علي البتيري، أكرم أبو الراغب، محمد بسام ملص، أمل منصور، محمد الظاهر، أحمد كواملة، هاشم غرايبة، رندا الشاعر، عماد زكي.[١]

المرحلة الثالثة: ١٩٩١م حتى الوقت الحالي، وفي هذه المرحلة، حصلت نقلة إيجابية في إنتاج أدب الأطفال الأردني، إذ واصل في هذه المرحلة عدد من الكتاب نشر إبداعاتهم في الصحف والمجلات والكتب، وكذلك شهدت هذه المرحلة توجه عدد من الأدباء للنشر في مجلات عربية واسعة الانتشار، ومن هؤلاء الذين بدأوا أو واصلوا النشر في هذه الفترة: علي البتيري، شهلا الكيالي، يوسف الغزو، روضة الهدهد، د.محمود الشلبي، عيسى الجراجرة، محمد جمال عمرو، محمود أبو فروة الرجبي، نادية العالول، صباح المدني، تغريد النجار، عبير الطاهر، أحمد النعيمي، سميرة ديوان، سها العزة، أميمة الناصر وغيرهم. [٢]

---

(١) (٢) محمود أبو فروة الرجبي، أدب الأطفال الأردني خطوات واثقة وأمل واعد، مرجع سابق.

* انظر: عمر الأسعد، **أدب الأطفال**، ط١، عالم الكتب، اربد، الأردن، ٢٠٠٣م، ص١١٣-١١٥.

* انظر: هيفاء شرايحة، واقع أدب الأطفال المحلي من أدب الأطفال عربيا، بحث في كتاب **أدب الأطفال في الأردن واقع وتطلعات**،مجموعة أوراق عمل الندوة التي أقيمت في الفترة ما بين٢٣-٢٤-اذار ١٩٨٨م، ط١، وزارة الثقافة ومؤسسة نور الحسين،عمان،١٩٨٩م، ص١٩٠- ٢٠٧.

أما قصيدة الطفل على وجه التحديد في العالم العربي لم تتبلور وتتميز عن الشعر العربي وتأخذ مساحة خاصة بها إلا في مرحلة السبعينات من القرن العشرين، وكان هذا التميز بجهود الشعراء الذين وهبوا شعرهم للأطفال ومنهم سليمان العيسى، وفاروق سلوم، وعبد الرازق عبد الواحد وسمير عبد الباقي، وبيان الصفدي، فقد قطعت قصيدة الطفل في العالم العربي شوطا

لا بأس به وتميزت بأنها قصيدة معاصرة تجسدت فيها كل السمات الفنية والمتطلبات التربوية، حيث كتب الشعراء قصيدة الطفل الحديثة التي تنطلق بلسان طفل الحاضر والمستقبل. [١]

وفي الأردن" الشعر بات يشكل الحضور الأوفر على تطور مسيرة أدب الأطفال في الأردن....، وقد اقتحم شعراء الأطفال موضوعات القصاصين والروائيين وكتّاب ثقافة الأطفال بعامة، ليكتبوا القصائد والأناشيد في مجالات البيئة وحماية الطبيعة...، إلى جانب استمرار الاتجاهات الوطنية والقومية والاجتماعية التي يتناولها شعر الكبار أيضا، وقد احتلت فلسطين العربية قضية وشعبا مساحة كبيرة من إنتاج العديد من الشعراء"[٢]، منهم محمد القيسي، وعلي البتيري، ومحمد الظاهر، ويوسف حمدان، ورياض سيف [٣]

---

(١) انظر علي الحديدي، في أدب الأطفال، ط٥، الانجلو المصرية، ١٩٨٩م، ص١٤٠ وما بعدها.

(٢) أحمد المصلح، أدب الأطفال في الأردن ، مصدر سابق، ص١٤٨.

(٣) يوسف عيسى حمدان، أدباء أردنيون كتبوا للأطفال في القرن العشرين، دار الينابيع، عمان،١٩٩٥م.ص١٨٦، ١٩٥، ٣١١.

وللمزيد حول أدب الأطفال راجع:

ـ عماد زكي، أدب الأطفال والعام ٢٠٠٠، بحث في **كتاب أدب الأطفال في الأردن واقع وتطلعات**،مرجع سلبق، ص٣١٠-٣٢٣.

ـ أحمد المصلح، ملامح عامة للحياة الثقافية في الأردن ١٩٥٣-١٩٩٣، فصل أدب الأطفال، منشورات لجنة تاريخ الأردن-المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، ١٩٩٥م.

ـ أحمد أبو زيد، الطفولة: مجلة الفكر- عدد خاص بالطفولة، الكويت، مجلد١٠، عدد٣، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر،١٩٧٩م ص١٢.

ـ مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب في دمشق، عدد خاص بأدب الأطفال، حزيران،١٩٧٥م.

موضوعات الشعر الموجه للأطفال عند البتيري:

نال الأطفال نصيبا من شعر البتيري وذلك في عدد من دواوينه الشعرية التي خصهم بها، وكان بدايتها ديوانه *أطفال فلسطين يكتبون الرسائل، دار الكرمل،عمان، ١٩٨٦* ، ثم توالت دواوينه في هذا المجال وهي: *فلسطين يا أمي، دار الكرمل ،عمان، ١٩٨٦م، وصوت بلادي، مطبعة الصفدي، عمان ١٩٩٠م، والجد والأحفاد، دار إيمان، عمان ١٩٩٢م، و شيخ فلسطين، دار إيمان،عمان، ١٩٩٧م، والعصفور الغريب وحكايات أخرى، دار البشير،١٩٩٧م، ومهند يرفع العلم، دار إيمان، ١٩٩٨م، و نحن المستقبل، مطبعة الخط العربي، عمان، ٢٠٠٦م.*

أما موضوعات شعر الأطفال عند البتيري فقد جاءت ضمن الشعر الوطني، والشعر الاجتماعي، والشعر التعليمي، وقصص شعرية، موزعة كالتالي:

أولا : الشعر الوطني ، وجاء على النحو التالي:

١- أهمية القضية الفلسطينية وبيانها للأطفال ٢- الوحدة العربية ٣- الاعتزاز بعلم الوطن

ثانيا : الشعر الاجتماعي : وجاء على النحو التالي:

١- الاعتزاز باللغة العربية ٢- تكريم العامل ٣- شكر المعلم ٤- احترام الجندي

٥- عيد الأم ٦- المحافظة على الماء

ثالثا: الشعر التعليمي ، وجاء على النحو التالي :

١- قواعد المرور ٢- أهمية المكتبة ٣- استقبال العام الدراسي

٤- درس في الصبر والتحدي ٥- درس في الحوار وحرية التعبير

رابعا: قصص شعرية

١- الجد والأحفاد ٢- شيخ فلسطين

٣- مهند يرفع العلم ٤- العصفور الغريب وحكايات أخرى

أولا : الشعر الوطني :

"إن الواقع السياسي والاجتماعي للوطن يحتم بروز الموضوع الوطني على رأس الموضوعات الأخرى فيما يخص الأدب بشكل عام، وأدب الأطفال بشكل خاص"[١]، فقد أصبح الوطن" من أوليات الحقائق التي يفتح عينيه عليها، وحب الوطن من الثوابت الملتصقة بالنفس، تتكون عند الإنسان صغيرا، وتنمو مع نمو إدراكه وتراكم معارفه"[٢]، وقد برزت موضوعات الشعر الوطني عند البتيري فهي:

١- أهمية القضية الفلسطينية وبيانها للأطفال :

استطاع الشاعر وهو يتحدث بلسان أطفال فلسطين أن يظهر صورة الأطفال، وحجم المعاناة التي يتعرضون لها في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فيوجه أطفال فلسطين خطابهم إلى أطفال العالم، ويقول الشاعر في قصيدة " أطفال فلسطين يكتبون الرسائل":

يا أطفال الدنيا يا من دنياكم فرح وزهور وأناشيد

ها نحن نخط لكم باللون الأحمر ..

فوق قميص شهيد ..

ما زلنا نحمل كتبا وعصيا وحجارة

ما زلنا نصرخ أو نتراكض ،

أو نتمزق بين الغارة والغارة

مثل صغار العالم نكبر ولكن

تكبر فينا مأساة دموية

تكبر فينا أرض وقضية.. [٣]

---

(١) أحمد حسن أبو عرقوب، الإبداع وشروطه في أدب الأطفال، بحث في كتاب **أدب الأطفال في الأردن واقع وتطلعات**، مرجع سابق، ص٧٧.

(٢) عمر السعد ، **أدب الأطفال**، مرجع سابق، ص١٢٢.

(٣) علي البتيري، **أطفال فلسطين يكتبون الرسائل**، ط١، دار الكرمل ، عمان، ١٩٨٦، ص٦ .

يتحدث الشاعر عن أطفال فلسطين مقارنا بينهم وبين أطفال العالم، فأطفال فلسطين لهم عالمهم الخاص حيث يعيشون تحت تهديد بنادق الصهاينة الذين سرقوا الفرح منهم، فما زالوا في ذعر من غارات الصهاينة ولا معين لهم بعد الله سوى هذا الحجر الذي يرمون به عدوهم، فهذه المقارنة تبين أن هؤلاء الأطفال لهم الحق في العيش دونما ألم وذعر، وقد ورثوا همّا يكبر معهم إنه هم القضية الفلسطينية، فيبين أن لكل أمة قضيتها المحورية وقضية فلسطين هي الهم العربي الذي يبقى حيا في الأذهان، فهي قضية إنسانية وليست قضية عنصرية، فألوان العذاب التي يتعرض لها أبناء فلسطين تحرمهم من العيش بسلام وأمن واستقرار، فالقصيدة تتسم بالحس الوطني الإنساني وتتخذ من الجانب الواقعي الدور المهم في توعية الطفل بجذور قضيته وأصولها، وبيان ألوان الجهاد التي يخوضها أطفال فلسطين من أجل استعادة وطنهم المسلوب، ويؤكد الشاعر أن هذا الجهاد والتحدي يكون بالعلم والصبر والنضال المتمثل بالحجر كوسيلة لقذف الأعداء، الحجر الذي يواجه الرصاص، وإيمانا من الأطفال بهذه القضية والحق بحلها وعيشهم في سكينة واستقرار على أرض وطنهم كبقية أطفال العلم.

ويمضي الشاعر متحدثا على لسان أطفال فلسطين واصفا صور الحقد الصهيوني، و ضياع الوطن، فيقول :

من أطفال فلسطين .. إلى أطفال العالم

برقيات..، وجراح..، وتواقيع ..،

وحديث عن وطن ضاع ، وما زال يضيع ..

وكلام عن حقد صهيوني يتعاظم عن طائرة

ألقت للطفل الصفدي الجائع قنبلة عنقودية

صنعتها للأعداء الأيدي الأمريكية

عن صور لمذابح وحشية ، وعصابات مجرمة

ما عادت تحمل صفة من بعض صفات البشرية [١]

---

[١] المصدر السابق ،ص٧

هذه الرسائل التي تحمل بين طياتها جراح الفلسطينيين والضياع الذي يعيش به الوطن، فها هم الصهاينة يلقون في صفد هذه البلدة المسالمة قنبلة من أحدث أنواع الأسلحة، فهذا بيان أن الدعم الذي يحصل عليه الصهاينة إنما هو من أمريكا حيث يعد الصهاينة الطفل المدلل لأمريكا، ويؤكد الشاعر أن هؤلاء الصهاينة وأعوانهم اقترفوا مذابح ضد شعب مسالم أعزل؛ مما أخرج الصهاينة من طابع الحس الإنساني والرفق بالإنسان، وذكر الشاعر لأمريكا هنا للتأكيد على الدور الذي تقوم به في دعم العدو الصهيوني كونها القوة العظمى في العالم، والطرف المسيطر في هيئة الأمم المتحدة، وموقفها تجاه العدوان الذي تتعرض له فلسطين موقف يخلو من الإنسانية التي تنادي بها المنظمات العالمية لحقوق الإنسان، فسياستها سياسة المصلحة المشتركة التي يذهب ضحيتها الأبرياء من الأطفال في فلسطين.

ويوصل الشاعر صوت الأطفال وصورهم إلى العالم، فيخرج بهذه المعاني الإنسانية، وبيان أن الأطفال من حقهم العيش بسلام في بلادهم، فيقول:

من أطفال فلسطين إلى أطفال الدنيا

قسم من جيل قبل القصف ،

وبعد القصف المتوحش يحيا:

" نقسم أن تدخل من أبواب العالم..

رايات طفولتنا

نقسم أن نتذوق .. مثل بقية أطفال العالم ،

طعم الحرية

ليكون لنا وطن ونشيد وهوية [١]

يمضي الشاعر مبينا أن كل ما يرمي إليه أطفال فلسطين هو العيش الكريم والحرية في وطنهم، وهؤلاء الأطفال يقسمون على ذلك بأن مطالبهم إنسانية وحق مشروع أسوة ببقية أطفال

---

(١) المصدر السابق، ص٨ .

العالم، فهذا المطلب هو نقل لصرخات هؤلاء الأطفال للرأي العام العالمي، للعمل على وقف الظلم، وتكريم الإنسان، وإعطاؤه حقوقه وأهمها الوطن والحرية والسلام والأمن .

أما أطفال العرب فقد وجه أطفال فلسطين لهم بعض الرسائل لتأكيد دور الأطفال في مقاومة الاحتلال بالعصي والحجارة، فيقول في قصيدة " من أطفال القدس إلى أطفال العرب" :

يا أطفال الأقطار العربية يا أحرار

هل يكفينا منكم تصفيق وهتافات

خلف خطوط النار؟

يا أطفال الوطن الواحد .. من بغداد إلى طنجة

هل تكفي من حول التلفاز الفرجة

حين تذاع عن القدس الأخبار؟

كونوا معنا جيل النصر، وجيل التحرير،

أعيدوا للأمة طعم الفرحة والبهجة

أعيدوا للأمة طعم الفرحة والبهجة [١]

إشارة تفوق ملاحظات الأطفال للدور الذي يلعبه الجانب العربي من مشاهدات لما يحدث في فلسطين، وتوجيه رسالة يطالب فيها العرب بالوقوف إلى جانب أطفال فلسطين القابعين تحت القصف، لتحقيق النصر والتحرير، مشيرا إلى بلاد العرب جميعها من المشرق إلى المغرب مقدرا مشاعر النصر والحماسة والترحيب التي يكنها أبنا العرب لأطفال فلسطين إلا أنها لا تكفي ويطالب بالمزيد من الدعم والمؤازرة، وإن "رسائل أطفال فلسطين إلى أطفال العرب والعالم في كل مكان، رسائل كلها أمل وثورة وتؤكد أن الرصاص هو وحده الكفيل بشق طريق الخلاص"[٢].

---

[١] المصدر السابق، ص١١ .

[٢] حمودة زلوم، مقالة بعنوان: **ديوان أطفال فلسطين يكتبون الرسائل للشاعر علي البتيري**، صحيفة الشعب الأردنية. ١٩٨٦/٤/٤م

وينقل الشاعر صورة الأب الذي ينمي في ولده روح الثورة والصمود والتحدي وذلك من خلال قصيدة "رسالة من والدي"، حيث يحث الوالد ولده على السير في ركب الثورة لأن النصر يكون حليفا للصابرين المتمسكين بأرضهم، فبعد أن يصف الوالد حال الوطن يؤكد هذا النصر بالثبات على حب الوطن رغم قلة السلاح وبساطته إلا أنه يجابه الأعداء، فيقول :

من قلبه

أضاف والدي في آخر الرسالة :

النصر للمقاومين لا محالة ،

وإن سألت يا بني عن أخبارنا

فنحن ثابتون كالأشجار ،

في البيوت ، في الحقول ، والشوارع

وحبنا لأرضنا

أقوى من الرصاص والمدافع..

نظل بالعصي ، بالنيران والحجارة

نلاحق الغزاة حارة فحارة"[١]

فيؤكد الشاعر من خلال دور الأب على أهمية المقاومة إذ أنها السبيل لتحقيق النصر، ويحث الأطفال على الصبر والتحدي والثبات والصمود أمام المعيقات والأسلحة المدمرة التي يستخدمها الصهاينة، والتكاتف بين أبناء الشعب لتحقيق النصر والخلاص للبلاد من العدو الغاصب.

ويمضي الشاعر مبينا أثر هذه الرسالة الثائرة في الابن الذي ثار غضبا، وأصبحت الثورة تجري في عروقه جري الدم؛ فقرر أن يحقق الأمل بالقتال وأكد على ذلك مقسما لأبناء جيله،

---

[١] المصدر السابق، ص١٣- ١٤.

فيقول الشاعر :

أمامكم يا أخوتي الصغار

أمامكم أقولها

من أجل دمعك الحزين يا أبي

سأسحق الصخور في الطريق

ومن دمي وقبضتي

سينشب الحريق ..

سأجعل الفؤاد مخزنا

لنار.. للقنابل

وفي ظلام ليلك الطويل يا أبي

أقسمت أن أقاتل!

أقسمت أن أقاتل! [١]

فهنا استطاع الشاعر إيصال رسالة هذا الطفل الذي أراد لأطفال العالم أن يعلموا أنه حرم براءة الطفولة وأحلام الصغار فقد عاش في ظلم وألم، نتيجة ما تعرض له في بلاده المحتلة حيث رضع الثورة منذ الصغر ليحقق التحرير لبلاده، فالشاعر استطاع تجلية المستقبل نصب عين الجيل القادم ليعي خطر العدو الصهيوني في الأيام المقبلة .

ويمضي الشاعر مصورا طفل فلسطين الذي نفي عنها وحلمه بالعودة مبينا رفضه لأن يبقى بعيدا ويكتفي بالمشاهدة لها عبر الشاشة، وقد استطاع "أن يجذر العلاقة الخفية التي تشد الطفولة إلى تراثها العربي العريق، وذلك من خلال إبرازه العميق لجوانب النضال العربي بشكل عام والفلسطيني على وجه الخصوص"[٢]

---

[١] المصدر السابق،ص١٤

[٢] أحمد الكواملة، مقالة بعنوان: **قصيدة الطفل عند الشاعر علي البتيري** ، صحيفة الشعب الأردنية، ١٩٨٧/٧/٩م

فيقول في قصيدة "فلسطين يا أمي" :

لا يا أمي ..

لن أبقى خلف خطوط النار

لا أرض ولا زرع ولا دار

لا يا أمي ..

لن أبقى عبر الشاشة كل مساء

استقبل صور الأهل المملوءة نار ودماء

لن تمنعني عن صرخة أهلي

بعض كمائن لعدوي أو أسلاك

لن أبقى دون حراك [١]

وعلى الرغم من كل الموانع إلا أن الطفل يرفض وقوفه بعيدا عن أهله ووطنه، فيتجه إلى جسر العودة مخاطبا وطالبا منه أن يفتح؛ ليعودوا لبلادهم منتصرين محرريها من براثن الغاصب الصهيوني، فيقول:

يا جسر العودة افتح للأطفال ذراعيك ..

ها هم يشتاقون إلى وقع خطى الجند عليك

ها هم يشتاقون إلى فرسان اليرموك وحطين

يأتون بأقواس النصر إليك [٢]

وهكذا يشير الشاعر إلى المعارك التي دارت على أرض فلسطين لتدل أن النصر لا بد له من العمل والتحدي للعدو الكامن المتربص بأبناء فلسطين، و هذا الجسر حبل يصل أبناء الشعب الواحد للعودة لوطنهم يد بيد.

---

(١) علي البتيري، **فلسطين يا أمي**، دار الكرمل ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص١٩ .

(٢) المصدر ذاته،

ويمضي الشاعر في قصيدة "سؤال عن الوطن" مبينا للأطفال أن فلسطين تقبع تحت الاحتلال الذي ينهب خيرات هذا الوطن رمز السلام والعطاء الذي أبعد أهله عنه، ومن هنا يسأل الطفل أستاذه باحثا عن إجابة ترشده لوطنه الذي لا يعرفه عنه سوى ما يسمع، فيقول:

قال الطفل الحائر فادي :

يا أستاذي أين بلادي ؟

إني أسمعهم يحكون

عن بيتي .. عن وطني الغائب

عن كرمتنا والزيتون

وربوع صادرها الغاصب [١]

ويبين الشاعر أن هذا الطفل بلاد المنفى، فلا يعرف عن وطنه سوى ما يسمع، لكنه يتساءل عن سبب بعده عنه، وهنا يبرز الشاعر صورة المنفى ويغرسها في نفوس الأطفال؛ لتبقى حافزا للخلاص وتحرير فلسطين فيقول:

قال الطفل الثائر فادي

يا أستاذي أين بلادي ؟!

لا أفهم معنى للمنفى

أو أعرف أسرار بعادي [٢]

الطفل فادي هذا الاسم الذي تكرر في قصائد الشاعر كثيرا؛ ليعبر من خلاله عن رؤيته في أن كل طفل فلسطيني يقدم روحه فداء لفلسطين، ويكرر السؤال على أستاذه من بلاد المنفى وينتظر إجابة سؤاله الذي استحسنه الأستاذ، فيقول في الإجابة:

أحسنت سؤالا يا فادي

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧.

(٢) المصدر السابق ، ص ٨

أحييت لدى الأستاذ الأملا

أرضك يا ابن العرب تنادي

وتراك بعينيها البطلا

في كلماتك أنت عظيم

ورسوماتك تفرحني

أعطيت السامع يا فادي *

درسا في حب الوطن [١]

ها هي الإجابة عن السؤال تؤكد أن الأمل يكون بالأطفال هم أمل المستقبل، ورجال الغد والتحرير والنصر، ويتضح أن الشاعر استطاع أن يبين أهمية الوطن، ويؤكد أنه أعطى درسا في حب الوطن والحنين للوطن، وأن الأطفال هم أمل العرب في مستقبلهم وخلاصهم.

ويأخذ الشاعر دور الراوي لما يدور بينه وبين طفلة من فلسطين تشير إلى المذبحة التي قام بها الصهاينة في "صبرا" فقد صورها الشاعر من وجهة نظر الأطفال، فيقول في قصيدة "طفلة على باب المخيم":

عندما حلّ ببيروت الدمار

عندما اشتد الحصار أوقفتني طفلة صاحت

على باب المخيم ... لعبتي ضاعت

وكتبي احترقت في البيت، والبيت تهدم...

ما الذي يحدث ؟... هل قامت على شعب فلسطين القيامة ؟

قتلوا يا عم حتى الطير في" صبرا" ... ولم تسلم حمامة..[٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩. (٢) المصدر ذاته ،ص ١٤.

* فادي رمز الفداء في الديانة النصرانية، انظر يوسف أبو صبيح، **المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر**، مرجع سابق، ص٨٨.

هذه الصور الموحية بما حل في ذلك المخيم من تدمير فضلا عن الحصار الذي يقع على كاهل الشعب الفلسطيني، فهذا قتل لكل معاني الحياة الطبيعية حتى الطير لم يسلم من ظلمهم، فهذه الحمامة رمز السلام قتلوها، وهذه بيان أن الصهاينة لا يجنحون للسلام ويعملون القتل والتشريد.

وتمضي هذه الطفلة متمسكة بالراوي الذي عزم على الرجوع للدفاع عن وطنه تطالبه بأن تحمل السلاح في وجه الغاصب الذي دمر البلاد، لأنها تؤمن أن دفاعها عن الوطن، وتضافر الجهود من أبناء الشعب، سيحقق النصر والحياة الكريمة للأجيال القادمة بما فيها من فرح وعلم وسعادة، فيقول :

جذبتني من سلاحي

طفلة كانت على باب المخيم

ثم قالت: أين تمضي غاضبا؟

خذني معك

أحمل الرشاش أو أحمل حتى مدفعك

ثم دعني أتعلم ..[١]

هذا صوت الطفلة مغردا مناشدا الشعب على النهوض ومجابهة العدوان، والتقدم للتحرير وتحدي الصعاب، فكل إنسان عليه أن يقوم بدوره على قدر استطاعته فالنصر لابد له من العمل الجماعي.

ويمضي الشاعر مؤكدا دور الطفل في الدفاع عن بلاده داعيا إلى بث روح العزيمة والإرادة بين أبناء الشعب الفلسطيني، فيقول في قصيدة " أرض البطولات" :

أنني طفل ولكن

لست من يخشى المنية

---

(١) المصدر السابق ، ص١٦.

أدفع الأعداء أنفيهم

عن الأرض الزكية

بالكفاح الرّ يا حيفا

ويا يافا الوفية

بالدم الجاري على

أرض البطولات الأبية

اصبري يا أمنا

فالصبر مفتاح القضية

ابشري يا أمنا

قد صار عندي بندقية [١]

فهنا يصور الشاعر الطفل مدافعا عن وطنه بدمه وكفاحه؛ لتحقيق النصر وتحرير مدن فلسطين " حيفا يافا"، مطمئنا أن مفتاح القضية الفلسطينية بالدفاع عنها والصبر، فهذا أمل بالنصر لأن الطفل صار قادرا على حمل السلاح ورد الظلم، فيبشر الطفل فلسطين بما سيأتي من تحرير وخلاص لها من براثن العدو الغاصب، وتحقيق الأمن والسلام والحياة السعيدة وحل القضية الفلسطينية التي تدور من سنين.

ومن خلال الشعر عمل الشاعر على نمو القيم الوطنية لدى الأطفال، فحب الوطن" لا ينشأ من فراغ، إنه حب مكتسب يكتسبه الطفل من مصادر عدة في مراحل وعيه وإدراكه، يكتسبه من والديه وأفراد أسرته، ويكتسبه من مربيه ومدرسته، ويكتسبه من مؤسسات مجتمعه التي ينتسب إليها ويتعامل معها".[٢]

---

(١) علي البتيري، **القدس تقول لكم** ، ط١، رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان، ١٩٨٣، ص ٤٧- ٤٨.

(٢) عمر السعد ، **أدب الأطفال**، مرجع سابق، ص١٢٢.

٢ ـ الوحدة العربية:

يتناول الشاعر في شعره الوطني موضوعا هاما في حياة الشعب العربي ألا وهو الوحدة العربية ، مبينا للأطفال من خلال قصائده المتعددة أهمية الوحدة العربية، وذالك بأن يذكرهم بأنهم جميعا تضمهم الأخوة العربية، ففي قصيدة "الشبل العربي" يأخذ دور الفتى الذي يترنم بنشيد يعبر من خلاله عن عروبته واعتزازه بها، وأن كل طفل عربي يجب أن يعتز بوطنه فيقول :

أنا شبل من أرض العرب

بالعلم سأسمو والأدب

لبلادي أمي ربتني

ودعاني للنصر أبي

مدرستي عندي بستان

يطرح أثمارا في الكتب

علمني فيها أستاذي

أن أحمي أمجاد العرب

علمني حب الأوطان

وحكى لي عن خير نبي [١]

يبين الشاعر هنا أن أبناء العرب تربوا على العلم، وحب الوطن الذي نهلوه من المدرسة الأولى الأم، ومن الوالد والأستاذ الذين غرسوا محبة الوطن، وأهمية الذود عنه وحمايته مذكرين بأمجاد العرب، ويشير الشاعر إلى النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم ، ليبرز قدسية البلاد العربية وخاصة فلسطين والقدس .

---

(١) المصدر السابق ، ص٥١.

ويدعو الشاعر لله متضرعا آملا بوحدة العرب، ومؤكدا أن الأطفال هم أمل المستقبل والحلم في إيجاد الوحدة بين أقطار الوطن العربي، ومشيرا إلى عروبة فلسطين وأهمية الدفاع العربي عنها فيقول في "أنشودة الوحدة" :

يا أطفال بلادي اتحدوا وعلى درب العلم اجتهدوا

أنتم حلم الوطن الواحد أنتم فجر الأمل الواعد

وفلسطين تنادي دوما يا أطفال العرب اتحدوا

وعلى الله الباري اعتمدوا [١]

فمن خلال هذه الأنشودة يركز الشاعر على الاتحاد لتحقيق حلم الوطن الواحد الذي يمثل الأطفال أمله، ويؤكد للأطفال أن فلسطين عربية، وذلك بطلبه من أبناء بلاده الاتحاد والتعاضد، ثم مرة أخرى يطالبهم بالتوحد وأبناء العرب جميعا لأن الاتحاد فيه قوة وتماسك وتضافر للجهود لرد الظلم الواقع على كاهل أبناء فلسطين .

ويمضي الشاعر يعطي درسا للأطفال طامعا في تحقيقه من خلال نشيد "صوت بلدي" الذي يعرض فيه أهمية أن يعرف الأطفال وحدتهم القومية، وبيان أن أطفال العرب هم لأم واحدة هي عروبتهم ، فيقول :

عند الدرس فرحت نفسي

يا أصحابي أين كتابي ؟

درس اليوم وحدة قومي

هزّ فؤادي صوت بلادي

وهي تنادي يا أولادي [٢]

وهذا الدعاء الذي أراد الشاعر من أبناء العرب أن يدعوا به ليستجيب الله تعالى في تحقيق

---

[١] علي البتيري، **صوت بلادي** ، مطبعة الصفدي ، عمان ، ١٩٩٠، ص١٦.

[٢] المصدر ذاته ، ص ٢٨.

الوحدة، مؤكدا أن الوحدة هي الطريق الوحيد للعودة إلى الوطن بعد تحريره من يد الصهاينة وهذا درس للأطفال كي يبقى ملازما لهم في حياتهم لتحقيقه إذا أرادوا الخلاص والتحرير، فيقول :

يا رب يا سميع في الضيق والشدة

وفق خطى الجميع واكتب لنا الوحدة

يا رب يا قدير يا صادقا وعده

نسعى إلى التحرير فاكتب لنا العودة [١]

٣ ـ الاعتزاز بعلم الوطن :

العلم هو رمز الوطن الذي يؤكد الشاعر على أهمية الاعتزاز به، وذلك من خلال احترام العلم والمحافظة عليه خفاقا، فهو رامز للعز والسيادة والحرية، وحماية العلم هي حماية للوطن، وتحية العلم ترمز لتجديد الولاء للوطن وقيادته وهي واجب الإنسان تجاه وطنه، وهذه القيمة أراد الشاعر أن تنمو اتجاهاتها الإيجابية في نفوس الأطفال، فيقول :

حيّوا العلم يا أطفال

شدوا الهمما يا أبطال

علمي الغالي رمز جهادي

علمي العالي فخر بلادي

يخفق حرا فوق القمم

وأنا دوما أحمي علمي بيدي ودمي [١]

---

(١) المصدر السابق،ص٦.

(٢) المصدر السابق ، ص١٢.

ثانيا : الشعر الاجتماعي :

١ـ الاعتزاز باللغة العربية:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وهي المادة التي كان الشاعر يدرسها في مسيرته المهنية، فقد عمل معلما للغة العربية كما سلف ذكره سابقا وهذا ما دعا الشاعر إلى الاعتزاز بلغته فقد عمل على كتابة قصيدة بعنوان "لغتي العربية" مبينا من خلال هذه القصيدة أهمية اللغة العربية التي تعود إلى كون القرآن الكريم نزل بها، وحفظ لها الاستمرار والشمول، ومضى الشاعر راسما حبها في قلبه وجاذبا الأطفال لها لكي يحرصوا على تعلمها وإتقانها والمحافظة عليها، فيقول :

لغتي أم البيان و بها دوما أباهي هي شهد في لساني وربيع في شفاهي

كم وكم مرت عصور وهي في الأفواه نور

إن بدت منها سطور في الورى فاح العبير

وانتشت كل الجهات لغتي أحلى اللغات

لغة القرآن تحيا كرمت هديا ووحيا في هواها الكل يحيا هاتفا حتى الممات

لغتي أحلى اللغات لغتي أحلى اللغات [١]

ومن خلال غرس حب اللغة العربية في نفوس الأطفال يمكنهم التميز والإبداع في مجالات العلم كافة، حيث أن إتقان اللغة العربية والتميز بها يمثل المفتاح للعلوم والمعارف والسبيل الذي لا بد منه في البحث في شتى مجالات الحياة، وهذه الأنشودة كانت تدرس في منهاج الصف السادس في وزارة التربية والتعليم في الأردن، وذلك للإفادة منها في زرع قيمة اجتماعية لدى الجيل، وهي التعامل مع المجتمع باللغة العربية، وتوثيق الصلة بين الطفل واللغة العربية الفصحى، " فالشعر لغة التواصل بين الشاعر وقارئ شعره، وشعر الأطفال هو الشعر القادر على التغلغل في نفسية الطفل وإيقاظ إحساسه بالجمال وقدرة اللغة، وسحر الكلمة، يتغلغل في نفوس الأطفال، وينال إعجابهم ببساطته وسهولته، وإيقاعاته المحببة"[٢].

---

[١] علي البتيري، **القدس تقول لكم** ،مصدر سابق، ص٣٣- ٣٤.

(٢) عمر السعد ، **أدب الأطفال**، مرجع سابق، ص١١٦.

٢ ـ **تكريم العامل** :

" إن العمل هو الركيزة الأولى للبناء والتقدم، بناء النفس، وبناء الأوطان، وما من أمة جعلت العمل دبر أذنيها إلا وهوت أركانها، وطواها النسيان، وخلفتها الحضارات، ونبذتها الفطرة السليمة، فلا يحسب لها حساب، ولا يلقى لها بال، ولا يقبل منها دور"(١)، وكان للشعر دور بارز في الحث على العمل وبيان أهميته للأطفال.

إن العامل هو اليد التي تبني الوطن، أراد الشاعر أن يوجه الأطفال إلى هدف سام هو تكريم هذه اليد التي تعمل وتبني، وذلك من خلال قصيدة وردة للعامل ،فيقول :

أمجد نادى : يا أطفال

وطني يحلو يكبر يعلو بالعمال

مازن قال :

يمضي العامل كل صباح يتعب يسعى لغد أفضل

عادته صبر وكفاح يدعو العالم نحو الأجمل (٢)

ويمضي الشاعر مبينا أن العامل يتعب ويصبر في عمله لتحقيق المستقبل الأفضل للوطن، مشيرا إلى أهمية العامل في البناء والإعمار؛ لذا يجب تكريمه بالشكر والاحترام والتقدير، وخلصت تلك الطفلة بتقديم وردة تكريما للعامل على جهوده هذا العامل المخلص في إتقان عمله فالهدية رمز معنوي للتكريم والاحترام، فيقول :

قالت رندة

في وطني خصب ومعامل

هذي الوردة سأقدمها لأبي العامل (٣)

---

(١) عبد العاطي كيوان ، **القيم الإنسانية في أدب الأطفال**،ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٠٩.

(٢) علي البتيري، **فلسطين يا أمي** ، مصدر سابق، ص٢٥.

(٣) المصدر ذاته ، ص٢٦-٢٧.

٣- شكر المعلم :

إن المعلم هو الباني لأمل المستقبل، حيث أن له الفضل الأمثل في تعليم الأطفال في مراحل التعليم المختلفة إلى أن يكبروا، ويبين الشاعر من خلال قصيدة "أحلى وردة " أهمية تقديم الشكر للمعلم على ما يقدم من عطاء في تعليم الأبناء، فيقول :

اسمي فادي واسمك رندة

نقرأ نكتب .. ولنا مدة

أول حرف في اسمي فاء

أول حرف في اسمك راء

ما أحلى هذي الأسماء

دام القلم.. عاش الدفتر

لمعلمتي الشكر الأكبر [١]

فمن خلال هذه القصيدة استطاع الشاعر أن يلفت انتباه الأطفال والكبار للدور الذي يقوم به المعلم في المجتمع وما يستحق من تقدير عليه، فهو من أعطى سلاح العلم بالقلم والدفتر، وهنا التقدير لهذه الفئة من المجتمع على ما تقدمه من بناء وازدهار؛ لتحقيق الأمل المنشود في مستقبل المجتمع المعقود ببناة المستقبل أجيال الغد .

٤- احترام الجندي :

الجندي هو المحافظ على سلامة وأمن البلاد، فيذهب الشاعر إلى أن الجندي من واجبه أن يحرس البلاد ويدافع عنها، هذا الواجب الهام الذي يقوم به يستحق عليه كل التقدير، فيقول :

يا أيها الجندي الباسل القوي

احرس خطوط النار حارب عدو الدار يا أنبل الأحرار [٢]

---

[١] علي البتيري، **صوت بلادي**، مصدر سابق، ص١٨.

[٢] المصدر ذاته، ص ٢٠.

فيبين الشاعر أن الجندي ابن من أبناء الوطن الغيورين على وطنهم وأرضهم المنبتة للخير والعطاء تحتاجه ليدافع عنها ولتحيا بسلام؛ لذا فإن الجندي يحترمه الرجال والنساء والأطفال، والكل يهتف له لبطولته وسهره على أمن البلاد وراحة وسلامة أبناء شعبه، فيقول :

في أرضنا الخضراء

يحبك الرجال .. تزغرد النساء ..

لأشجع الأبطال

بلهجة أبية

باهت بك الصبية غنى لك الصبي :

يا حرّ يا أبّي يا أيها الجندي [١]

فالشاعر أورد هذه القيمة الاجتماعية؛ ليتعرف الأطفال أهمية الجندي والدور الذي يقوم به، وثبات هذه القيمة والاتجاهات في نفوسهم وتكريم هذا المناضل على حدود الوطن بكلمة شكر، والتذكير به دوما وتخليد صورته في عالم الأطفال بطلتها البهية المشرقة التي ترمز للعز والفخر والكبرياء ويبقى المثل الأول والأسمى في الدفاع عن الوطن.

٥- يوم الأم :

لا ينسى الشاعر الأم هذه المدرسة الأولى التي يتربى في حضنها الأبناء من التكريم، راسما العلاقة الرابطة بين الطفل وأمه، فالأم أعز إنسان عند الطفل، وذكرى يوم الأم هي عادة اجتماعية ترمز إلى المحبة وقوة الرابط بين أواصر المجتمع، والأطفال جزء من المجتمع، فيهدي الأطفال قصيدة إلى أمهاتهم فيقول الشاعر في قصيدة لأمي:

وردة القلب سأهدي لك يا أمي الحبيبة

أنت أغلى الناس عندي أنت من روحي قريبة [٢]

---

(١) المصدر السابق ،ص ٢٠.

(٢) علي البتيري، **نحن المستقبل**، مطبعة الخط العربي، عمان ، ٢٠٠٦، ص١٨.

ويمضي الشاعر مشيرا إلى فرحة الطفل بذكرى يوم الأم التي ترعاه وتحنو عليه معبرا لها عن حبه، وشكره لها على ما تقدمه من سهر وتعب بهذه الهدية الرمزية التي أراد الشاعر بها نقاء الحب وصدقه وبساطة الصورة الموحية بالعطاء المعبرة من عالم الأطفال، فيقول :

فرحتي في يوم أمي

أذهبت حزني وهمي

بددت أمي دموعي

وأضاءت لي شموعي

عيدها الباسم عيدي

يا منى الأفراح زيدي

أنا قدمت ورودي

للتي صانت وجودي

للتي ترعى الأماني

فاض قلبي بالتهاني

يوم أمي تاج عمري

و به تحلو الأغاني [١]

٧ـ المحافظة على الماء :

الماء عصب الحياة ولذا يجب المحافظة عليه والقيام بترشيد استهلاك الماء، ومن هنا استطاع الشاعر أن يغرس قيمة أخلاقية في نفوس شريحة من شرائح المجتمع ألا وهم الأطفال وتعريفهم بالماء وأهمية الحفاظ عليه، وموجها رسالته إلى الكبار الذين يقومون بإسراف الماء

---

[١] المصدر السابق، ص١٨.

دون وعي منهم بأهمية تعليم الأطفال طرق الحفاظ على الماء وكيفية ترشيد استهلاكه، فيتحدث الشاعر من خلال قصيدة " الماء حياة " التي يؤدي أدوارها الأطفال بطابع مسرحي، ويقدم الشاعر الفكرة ، فيقول :

المجموعة: بالحب والوفاء نناشد الكبار

أعطوا الصغير ماء فنحن كالأزهار

ويمضي الشاعر بأدوار الأطفال ليعبر كل منهم عن رؤيته للماء وأهمية، فيقول :

طفلة : الماء ما أغلاه ! فلتعتنوا به

وجودنا لولاه حتما سينتهي

وهنا تبين الطفلة أن الوجود مرتبط بالماء والحفاظ عليه لضمان الاستمرار فيه، ثم يأتي طفل يبين أن وجود الماء يضمن مستقبل أبناء الأمة في حياة سعيدة هانئة، فيقول :

طفل : العيش لا يكون للطفل دون ماء

به ستضمنون مستقبل الأبناء [١]

ومن خلال هذه القيمة استطاع الشاعر إرشاد الأطفال إلى أهمية الماء والعمل على ترشيده، وإيصال فكرته للكبار لتكون هذه القيمة من القيم التي يتربى عليها الأطفال وهذا دور الكبار في تنشئة جيل واعي لقضية من قضايا العصر العالمية وهي ترشيد استهلاك الماء.

---

[١] المصدر السابق ، ص ٢٦.

ـ ثالثا: الشعر التعليمي :

"العلم والتعلم، والدعوة لهما، من القيم السامية الخالدة،التي أخذت مساحة غير فليلة من جهد المخلصين في كل عصر، فبالعلم_ وحده_ تقام الحضارات، وبالعلم _ وحده_ تمتاز أمة عن غيرها؛ ’ذ المعيار هنا، يحسب بمدى ما يحصل من خبرات ومعارف ، وهل ثمة ما هو أنفع من ذلك وأجدى"[١]، والبتيري كونه معلما عمل من خلال قصائده على توجيه بعض الدروس والقيم للأطفال، ومنها:

١ـ قواعد المرور :

استطاع الشاعر وبأكثر من قصيدة أن يعلم الأطفال بعض قواعد المرور، حيث أن الأطفال أكثر عرضة لحوادث السير، والشاعر يقوم بدوره كأب ومعلم في نقل هذه القواعد إلى قالب شعري يقترب من أذهان الأطفال ويوصل لهم الفكرة بشكل بسيط مشوق، فيرسم من خلال قصيدة "على الطريق العام" إشارة المرور ودلالة ألوانها وكيفية التعامل مع الطريق العام الذي يعج بالسيارات، فيقول:

على الطريق العام أسير في نظام

في الشارع النظيف أمشي على الرصيف

أحترم المرور في لحظة العبور

أراقب السيارة وأتبع الإشارة

إشارة حمراء تقول لا تمر

إشارة خضراء تقول أنت حر

أسير للأمام أمر في سلام

على الطريق العام [٢]

---

(١) عبد العاطي كيوان ، **القيم الإنسانية في أدب الأطفال**، مرجع سابق، ص١٥٥.

(٢) علي البتيري، **صوت بلادي**، مصدر سابق، ص٢٤.

٢ـ أهمية المكتبة :

المكتبة بيت المعرفة والزاد الذي لا ينضب، يتزود الإنسان منها ما يشاء من العلوم والمعارف المختلفة، ولا بد للطفل أن يبحر في عالم الكتاب لينهل منه ما ينمي ثقافته ومعرفته، فمن خلال قصيدة مكتبة الطفل العربي أستطاع الشاعر جذب الأطفال إلى المكتبة وتعريفهم بها ومدى الأهمية التي تكمن في ارتياد المكتبة ففيها كتب متنوعة تساعد على صقل الشخصية منذ مرحلة الطفولة مما تجعل الأطفال يحبون الكتاب والعلم، فيقول :

يا مكتبة الطفل العربي هاتي ما عندك من كتب

زيديني علما وثقافة ودعي لي ألوان الأدب

اروي تاريخ الأجداد وأحكي لي عن خير نبي [١]

ويمضي الشاعر موضحا بعض السلوكيات التي لا بد من إتباعها فيحث على تنظيم الوقت، وتخصيص وقت للكتاب ولزيارة المكتبة، مشيرا إلى بعض أنواع المعارف من خلال القصص والأشعار الأدبية فضلا عن الكتب العلمية، وإلى أهمية الكتاب في حياة الإنسان، ومرغبا الأطفال بالكتاب والتمسك به لعلو مكانته وأنه من الواجب على الطفل أن يبقى مهتما بالكتاب ولا يرضى ببديل له، فيقول

يا أجمل بيت أقصده بعد الدرس وبعد اللعب

أستمتع فيه ساعات وأطالع فيه عن كثب

معرفة تغني أفكاري وعلوما هي عز الطلب

أقرأ قصصا أقرأ شعرا وأحب الإبداع الأدبي

كل كتاب يبدو عندي أغلى من ماس أو ذهب

لو أعطوني القمر العالي لأكون أميرا للشهب

لا أرضى في الكون بديلا عن مكتبة الطفل العربي [٢]

---

(١) (٢) علي البتيري ، **نحن المستقبل** ، مصدر سابق، ص١٢.

- انظر ربحي مصطفى عليان، مكتبات الأطفال في الأردن، بحث في كتاب **أدب الأطفال في الأردن** ، مرجع سابق،ص١٣٩-١٤٢.

٣ـ بداية المدارس :

يبين الشاعر للأطفال أهمية المدارس في حياة الإنسان وكيفية استقبال الأطفال لبداية العام الدراسي التي ينبغي أن تكون، فيطلب منهم الإقبال على المدرسة لنهل العلم والمعرفة مشيرا إلى شوق المدارس والعاملين عليها للقاء بأبنائهم الطلبة.

فيقول الشاعر :

أشرقت شمس النهار فاستعدوا يا صغار

أنشدوا النور صباحا واحملوا العلم سلاحا

وتعلوا فالمدارس بين شوق وانتظار [١]

ويمضي الشاعر مبينا للأطفال أن سلاحهم هو الكتاب والقلم في المدرسة، ومن خلال هذا النص استطاع الشاعر غرس حب المدرسة في نفوس الأطفال، حيث هي الطريق لإحراز المجد واللحاق بركب الأمم في التقدم العلمي، وهذا اليوم الدراسي الأول عندما تشرق الشمس وهي رمز للعلم الذي يضيء الطريق أمام أمل المستقبل، فيقول :

أقبل العام الجديد بكتاب وقلم

وكأن اليوم عيد وله الكل ابتسم

ساحة العلم تريد نهضة فوق القمم

فابلغوا المجد التليد فخرنا منذ القدم

أحرزوا الفوز الأكيد سلمت هذي الهمم

حققوا الحلم البعيد والحقوا ركب الأمم [٢]

---

[١] المصدر السابق ، ص ٢٢.

[٢] المصدر السابق ، ص ٢٢.

٤ـ الصبر والتحدي :

إن تربية الجيل الصاعد تحتاج إلى الثقة بالنفس ومواجهة التحديات التي يتعرض لها في مسيرة حياته ، وخاصة إذا كان من ذوي الاحتياجات الخاصة، ومن خلال قصيدة طفلة لا ترى بعينيها استطاع الشاعر أن يوصل فكرته هذه حيث كانت الطفلة مؤمنة بالقدر، حريصة على التصميم لتحقيق الأمل في الحياة وطلب العلم والسير إلى الأمام نحو المستقبل بعزم وإرادة، فيقول :

هذا قدري في الدنيا وإرادة ربي

يكفيني في الأرض لأحيا نور في قلبي

لن ترجع بالحلم خطاي

حلمي شمس الكون

يبقى في بستان مناي

زهر.. عطر .. لون

من قمر الليل تعلمت أن أملأ قلبي بالنور

وعلى الغصن العاري في قلب الإعصار

علمني عصفور كيف أظل أغني

للأمل الآتي لن ترحل عني

يا نور حياتي [١]

فهذه الطفلة هي رمز للصبر والتحدي والثبات التي يجب أن يتربى عليها الأطفال، وكذلك هي إشارة للتعامل مع مثل هذه الحالة باحترام وتقدير دون شفقة أو عطف يؤدي للإساءة دون قصد.

---

[١] المصدر السابق ، ص ٢٤.

٥ـ نمو الشخصية وحرية التعبير:

إن شخصية الطفل عجينة قابلة للتشكيل حسب ما يتلقى من روافد لثقافته، وإن المدرسة الأولى في حياة الطفل هي الأسرة، وكما أن الأم تقوم بدور الرعاية فإن للأب الدور البارز في صياغة أفكار هذه الشخصية، ومن هنا جاءت حوارية الشاعر ما بين الولد وأبيه في قصيدة "حوار مع أبي" التي دار الحوار فيها حول فكرة هامة أراد الشاعر أن يلفت انتباه الأطفال لها في مراحل طفولتهم المتقدمة ألا وهي أن يحمل الطفل رأيا خاصا، ولديه الشجاعة في التعبير عن هذا الرأي صوابا كان أو خطأ، فيطرح الوالد سؤالا على ولده، فيقول الشاعر في هذا الحوار ما بين الولد ووالده : [1]

قال أبي يا ولدي الغالي

ما رأيك في رأي أبيك ؟

لكن الابن أجاب مستنكرا متوجسا، والأب يؤكد له أنه المقصود بالسؤال إلا أن الولد لا يخرج من دائرة الإجابة المعتادة، فيقول :

قلت له عفوا يا بابا .

لا أملك رأيا وجوابا

نصحك أمر وأنا بالطاعة أرضيك

ولكن الأب لا يريد السمع والطاعة دون تفكير ويريد سماع رأي ولده، فيطلب منه النقاش والتفكير والحرية في التعبير، فيقول :

حدثني عن وجهة نظر

فيها توضيح وشجاعة

ناقش واسأل

فكر واعمل

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨.

ارسم أحلام المستقبل

وتقبل نصحي يا ولدي

لكن من بعد التفكير

كن دوما حر التعبير

عن أفكار تكبر فيك [١]

ويمضي الأب مؤكدا أن الحياة لا بد لها من التجربة فمن لا يخطئ لا يتعلم، ولا بد من الإقدام والتفكير والتعبير عن الرأي لتنمو الشخصية نموا سليما، وأن الثقافة تصقل بالتجربة والاعتماد على الذات والإقناع الذي يأتي بعد النقاش وعمق التفكير في أي أمر كان، فيقول :

وتحداني ثم ابتسم

وحكى لي : يا ولدي الغالي

من لا يخطئ لا يتعلم

وهنا رحت أحاوره ... منطلقا أو مستمعا

وهو يؤكد لي في فرح

أحببتك دوما مقتنعا

كي نمضي في الدرب معا [٢]

والبتيري" لا ينظر إلى قصيدة الطفل على أنها ترف فكري أو راحة من عناء الكتابة، وهو يحذر من خطورة تبسيطها إلى حد اغتيال روح الإبداع والجمال فيها، لكنه يرفض في نفس الوقت أن تحمل قصيدة الطفل ما يشق على ذهنيته البسيطة، لذا تأتي أشعاره مضمنة صورا ومواقف إنسانية نافذة التأثير وقريبة التناول"[٣].

---

[١] المصدر السابق ، ص ٢٨.

[٢] المصدر السابق ، ص ٣٠.

(٣) أحمد الكواملة، مقالة بعنوان: **قصيدة الطفل عند الشاعر علي البتيري** ، صحيفة الشعب الأردنية، ١٩٨٧/٧/٩م

ـ رابعا: قصص شعرية :

القصة نوع أدبي له عناصره وشروطه،" فبعد أن احتلت القصة مكانتها في حياة القبيلة، وأصبح لها طابع في نظامها العام؛ بدأ الشعور بالشكل الأدبي ينو ويزداد، وأخذ التمييز بين الأسلوب المرسل والقصة الموقعة أو المنظومة، ينال اهتمام السامعين، وقد لاحظت الإنسانية، أن فنون الموسيقى، والشعر، والرقص، والقصص، والأساطير، تمتزج كلها؛ لتؤلف نسيجا عجينا من القصص، ينال التقدير بعرضه موجزا مختصرا بالنثر القوي، أو ينال الاستحسان بعرضه موزونا بطريقة إيقاعية"[١]، والبتيري شاعر استطاع كتابة القصة الشعرية وخاصة في شعر الأطفال ومن القصص التي كتبها للأطفال:

١ ـ قصة "الجد والأحفاد"

قصة شعرية تدور حول تحرير بيت المقدس عبر التاريخ الإسلامي، يبين الشاعر فيها أهمية دور المسلمين في نشر الإسلام عبر الفتوحات الإسلامية، ويقوم بأدوار القصة جد وأحفاده فهو يجيب عن تساؤلات الأحفاد، فيشير الجد إلى الحدود التي وصله المسلمون بفتوحاتهم للبلاد، فيقول الجد : كانت لكم أمجاد في الشرق والغرب

كنا هنا الأسياد في السلم والحرب

فمن حدود الصين حتى ربا الحمراء

فزنا بنشر الدين في هـمة وإبـاء [٢]

ويمضي الشاعر بدور الجد مبينا فتح صلاح الدين للقدس وتحريرها في معركة حطين، فيقول:

هذا صلاح الدين باهـت به الأيام

على ربا حطين لاحـت له أعلام

جولاته الحـرة في الشرق لا تحصى

قد أنقذ الصخرة وحرر الأقصى [٣]

---

(١) علي الحديدي، **في أدب الأطفال**، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) (٣) علي البتيري، **الجد والأحفاد**،دار إيمان، ١٩٩٢، ص٤،ص٨.

أما الأطفال فيأتي دورهم بالمتعطشين إلى سماع أمجاد أجدادهم عبر التاريخ حيث النصر والتحرير، وهذه إشارة إلى الواقع الذي يعيشه أطفال فلسطين في العصر الحاضر من عدوان ومشقة، والأمل بأن تعود أمجاد العرب المسلمين، فيقول :

يا جدنا العربي يا سيد الأحرار

من أصدق الكتب أرسل لنا الأخبار [١]

ولم يكتفي الجد بالإشارة إلى المعارك التي خاضها المسلمون على أرض الفتوحات (واقعة الحمراء، واليرموك، وحطين)، والنصر الذي حققوه فيها، بل أشار أيضا إلى عدد من أبطال الفتوحات منهم: عمرو بن العاص، وطارق بن زياد، لتعريف الأطفال بأهمية هذه الأسماء عبر التاريخ الإسلامي، فيقول :

جئناك بالإيمان يا دعوة الحق

كنا لك الفرسان في الغرب والشرق

فعمرو يا أحفاد أحيا بنا مصرا

وطارق بن زياد قد حرر النصرا [٢]

ويؤكد الشاعر في ختام القصة أن الأمل هو في الأجيال القادمة بالأطفال الذين يقع على عاتقهم المحافظة على أمجاد المسلمين، والاستقاء من التاريخ للنهوض بهذه الأمة من جديد، فيقول: يا جيل يا بطل قل للخطى امتدي

يا أيها الأمل صن راية الجد [٣]

هذا ما تناولته القصة التي ضمنها الشاعر درسا في التاريخ الإسلامي بطابع مشوق يستقطب الأطفال دونما ملل في تعلم درس قي التاريخ عن أمجاد العرب المسلمين عبر الأيام السالفة، ومستخدما عناصر القصة ضمن قالب شعري يعتمد فيه على الحوار .

---

(١) (٢) (٣) المصدر السابق،ص٨، ص١٠،ص١٤.

٢ ـ القصة الشعرية { شيخ فلسطين } *

قصة شعرية يرويها الشاعر تتحدث عن الشيخ أحمد ياسين الذي جسده الشاعر بدور البطل، فيتخذه رمزا للتضحية التي يقدمها أبناء الشعب الفلسطيني في سبيل قضيتهم، وقد تناول الشاعر هذه الشخصية للتعبير عن النضال المتجدد على أرض فلسطين أمام التحديات والصعوبات التي تواجه الشعب، ولافتا أحساس الأمة العربية نحو ما يجري من ظلم وتحدي للمقاومة على أرض فلسطين، ومن خلال هذه الشخصية الواقعية التي جعل منها الشاعر بطلا لقصته، وتجسيدا للفداء والتضحية التي قام بها ونقلها إلى الأطفال؛ لغرس روح التضحية في نفوسهم وعدم الاستسلام أمام التحديات، كما حدث مع الشخصية من سجن وتعذيب في سبيل الله ودفاعا عن القضية الفلسطينية، فيقول الشاعر :

كسر الصمت شيخ مقعد جاهد حتى انتفض المقعد

كالنجم أضاء لما اعتقلوه كم شع فداء لما حكموه

حكم مؤبد يا رب اشهد [١]

ويمضي الشاعر مشددا على أهمية الدور الذي قام به الشيخ وصبره مطالبا من المسلمين أن يهبوا لنجدته ، فيقول :

يا مسلم لا تسكت أبدا أنقذ بطلا في السجن غدا

شيخ الأحرار في القيد يهان ناد الأخيار في كل مكان [٢]

وهذا الشيخ الذي بصبره وجلده على تحمل المشقات استطاع أن يكون رمزا للجهاد والنضال، والذي يمثل طريق الخلاص الوحيد للبلاد من براثن الصهاينة، فالشاعر حاول إيصال هذا الرمز لعالم الأطفال ليبني جيلا يأخذ بما حققه الأجداد من نصر، ويحذو حذوهم في الدفاع عن وطنه.

---

[١] علي البتيري، **شيخ فلسطين**، دار إيمان، ١٩٩٧، ص٦

[٢] المصدر ذاته، ص١٢.

* انظر (*الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة*) كتاب الجزيرة ، الدار العربية للعلوم طبعة مصر ٢٠٠٤م

٣ ـ القصة الشعرية { مهند يرفع العلم }

قصة شعرية تتحدث عن طفل من فلسطين استطاع الصمود في وجه أسلحة العدو ورفع علم وطنه، ويأخذ الشاعر دور الراوي محدثا بقصته التي دارت أحداثها في فلسطين وبتحديد أكثر فوق جذع الزيتونة القديمة التي استخدمها الشاعر كرمز للوطن وعراقته فيقول :

في قريتي يحكون ... عن قصة الصغير والعلم

وحقلنا المليء بالتفاح والزيتون

ما زال يسرد الحكاية لطائر الأم [١]

ويمضي الشاعر بأحداث القصة وكيف فرح أبناء فلسطين بهذا العلم الذي رفع فوق تلك الزيتونة العطشى التي رمز بها إلى فلسطين أرض السلام الأرض المقدسة التي دنسها الصهاينة وجعلوا منها أرض قتال ودم، وهي عطشى للنصر والتحرير، وقام العدو على أثر ذالك بإطلاق الرصاص إلا أن الصغير مهند المسعود بقي صامدا مواجها لأسلحتهم التي هددوه بها كي يسقط العلم ولكنه رفض وتسلق الشجرة وقبض على العلم بكفه وأنشد: "عاشت بلادي حرة... عاش العلم " فأطلق الصهاينة الرصاص على الطفل، فيقول الشاعر:

وأطلق اليهود رصاصهم على مهند المسعود

فأسقطوه ، حط كالعصفور فوق أرضنا

مضرجا بالدم وظل قابضا بكفه على العلم [٢]

سقط هذا الطفل الصامد مضرجا بدمه لكنه بقي قابضا على العلم، فمن خلال هذه القصة استطاع الشاعر أن يجعل من هذا الطفل رمزا للتحدي والمقاومة والصمود، وهذا ما يقوم به أبناء فلسطين في دفاعهم عن بلادهم، وقد وظف عناصر القصة: الزمان، والمكان، والشخوص، والأحداث، والحبكة، والنتيجة توظيفا يتناسب مع القالب الشعري الذي وضع القصة فيه، وأوصل الفكرة المنشودة بطريقة سهلة قريبة من الأذهان وأسلوب مشوق يتناسب مع الأطفال وإدراكهم .

---

[١] علي البتيري، **مهند يرفع العلم**، دار إيمان، ١٩٩٨ ، ص٣.

[٢] المصدر ذاته ،ص ١٦.

٤ ـ مجموعة حكايات : {العصفور الغريب وحكايات أخرى }

مجموعة تضم عددا من الحكايات التي قام الشاعر بوضعها في قالب شعري مع تضمنها عناصر الحكاية بأسلوب مشوق، وقد جاء ت المجموعة بعنوان إحدى الحكايات وهي العصفور الغريب، وقد ضمن الشاعر هذه الحكايات عدد من رموز الموت والحياة والقاتل والجاني والضحية، وفيها تعبير عن واقع الحال الذي يعيشه الإنسان الفلسطيني الذي شرد من بلاده، وقد استطاع الشاعر تضمين المجموعة الإطار الخفي من المعاني التي تحمل رسالة للأطفال وتغرس في نفوسهم كيفية التعامل مع الظلم والعداء، رغم بساطة الكلمة، ونموذج ذلك في حكاية العصفور الغريب، حيث يقول فيها:

أحضر لي ولدي عصفور كان يغرد في البستان .....

ضيفناه وداعبناه ودربناه على الطيران

لم نحضر قفصا أو عشا أطلقناه بكل مكان ...

لكن ظل غريبا عنا لم يشعر أبد بأمان ...

لم تتحرك فيه حياة والموت عليه قد بان ...

راحت جثته تهمس لي وتخاطبني يا إنسان

كيف يعيش الطير يتيما وله في الدنيا أبوان ؟

حلو العيش وغربة روحي في المنزل لا تجتمعان [1]

فيتضح أن الشاعر استخدم هذه القصة ليرمز إلى الإنسان الفلسطيني فهو كالطير لا يروق له العيش إلا في أحضان بلاده، فمهما حاول التعايش في بلاد الغربة، فإنه يبقى يحن للعودة إلى بلاده حتى الموت، ومن خلال هذه الحكاية وغيرها من حكايات المجموعة، فإن الشاعر يبين للأطفال أن الإنسان لا يمكن أن يستغني عن وطنه مهما تطول الأيام في البعد عنه، وهذا درس لتعليم الطفل التمسك في حبه لوطنه .

---

[1] علي البتيري، **العصفور الغريب وحكايات أخرى** ، ، دار البشير ، عمان الأردن، ١٩٩٧م، ص٢- ص٣.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية في شعر علي البتيري

أولا : الصورة الفنية المفهوم والتطبيق في شعر علي البتيري

مفهوم الصورة الفنية:

تمثل الصورة الفنية معيارا نقديا في تناول العمل الأدبي، ومصطلح الصورة الفنية ورد في النقد العربي القديم ضمن إشارات في كتابات النقاد والأدباء، ومن هذه الإشارات قول الجاحظ:" إنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"[١]، والجاحظ هنا يتحدث عن الصورة ولا يفصل فيها، فهي إشارة إلى أهميتها في الشعر وأنها معيارا للتنافس بين الشعراء[٢]، والصورة عند ابن رشيق القيروانيّ، جسم الشعر يضعف إذا ضعف ذلك اللفظ، وقد عبر عنها باللفظ، وعبر عن المعنى بروح الشعر، ويعرض للصورة الموسيقية متمثلة في القوافي والأوزان، فيقول: "القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يُسَمَّى شعراً حتى يكون له وزن وقافية.[٣]

وعبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم، تحدث عن الصورة الفنية بشكل واسع عبر ملاحظاته النقدية البلاغية في كتابيه: (أسرار البلاغة – ودلائل الإعجاز) فيقول: " واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل قياسي لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا "[٤]، وهنا يربط الجرجاني المعاني بالألفاظ التي تعبر عنها، حيث أن الألفاظ تمكن الشاعر من نقل المعاني وفق نهج قياسي وضمن إطار المحسوس أو المتخيل، ويرى أحد الباحثين أن مفهوم مصطلح الصورة عند الجرجاني قد استقر على ثلاثة أركان: "الأول: تناول الصورة والتصوير في خضم البحث البلاغي، والثاني: هضم معاني الصورة لغةً واصطلاحاً من شتى مصادرها الأصلية وربطها بالنظرية الأدبية العربية التي ترى أن القول صناعة في عملية خلقها وفي غايتها، والثالث: يتلمس مصادر الصورة الأدبية ووسيلة خلقها ومعيار تقويمها في الواقع بأبعاده الموروثة ومقوماته الحيوية".[٥]

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون،ج٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٣٢.

(٢) انظر عبد الإله الصائغ، **الصورة الفنية معياراً نقدياً مع منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير**، ط١،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م،ص١٠٧.

(٣) ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق محمد قرقزان، ط٢، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩٤م.

(٤) عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٩٠م، ص٥٠٨.

(٥) كامل حسن البصير، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧م، ص٤٢.

وعبد القاهر خرج على المألوف والسطحي في معالجة قضايا الصورة؛ فقد اعتبرها عنصراً حيوياً من عناصر التكوين النفسي للتجربة الشعرية، " فلقد استطاع عبد القاهر أن يجمع في نظريته النقدية بين الاتجاهات الرئيسية في تعريف الصورة الشعرية، وأن يمزج بينها بشكل رائع ملغياً – بفكره التحليلي الثاقب – ما يبدو من تناقض ظاهري، كما تجلت في مذهبه الشعري الصورة الشعرية مجازاً وانطباعاً حسياً ورمزاً بما في أشكال التعبير المختلفة موازية لما تمر به النفس من حالات، وما يتدرج الفكر فيه من مستويات".[١]

ويذكر حازم القرطاجني الصورة في مجال الحديث عن التخييل الشعري، فيقول: "والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالاً من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض"[٢]، ومن هنا يرى أحد الباحثين أن الصورة – عند حازم – "لم تعد تشير إلى مجرد الشكل أو الصياغة فحسب، ولم تعد تحوم حول التقديم الحسي، وإنما أصبحت محددة في دلالة سيكولوجية خاصة تتصل اتصالاً وثيقاً بكل ما له صلة بالتعبير الحسي في الشعر" .[٣]

كما يحرص حازم عند تكوين الصور أن يربط بين دلالة اللفظ ودلالة المعنى فيقول: "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن وأنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين وأذهانهم" .[٤]

هذه بعض آراء القدماء في تناولهم الصورة الفنية، فهم يعبرون عنها بالعبارة أحياناً وباللفظ أحياناً، أو يتناولون جزءاً من الصورة في مفهوم المحدثين ليعبروا به عن الصورة كلها، وأكثر حديثهم كان عن القضايا البلاغية.*

---

(١) ريتا عوض، **بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس**،ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢، ص ٨٨.

(٢) نقلا عن جابر عصفور،**النقد الأدبي الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، ج٢،ط١، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص٢٩٦.

(٣) المرجع السابق ص٢٩٥.

(٤) نقلا عن عمر إدريس عبد المطلب، **حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي**، ط١، الجنادرية،عمان الأردن،٢٠٠٨م،ص١٧١.

* للمزيد راجع عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية معياراً نقدياً، مرجع سابق،ص١٠٧- ص١٢٤.

أما عن مفهوم الصورة في العصر الحديث فقد تباينت الآراء حول ذلك، فيعرف مصطفى ناصف الصورة بقوله: "إنها منهج فوق المنطق لبيان حقيقة الأشياء".[١] ويعلق ناقد على موقف

مصطفى ناصف في دراسته السابقة بقوله: " لم تبذل جهدها في تأمل المفاهيم القديمة للصورة ومناقشتها، فتركت معالجة نظرية الخيال في الموروث.."[٢]

ويعرف محمد حسن عبد الله الصورة على أنها: "صورة حسية في كلمات، استعارية إلى درجة ما، في سياقها نغمة خفيضة من العاطفة الإنسانية، ولكنها أيضاً شُحنت – منطلقة إلى القارئ – عاطفة شعرية خالصة، أو انفعالاً".[٤]

ويقول عبد الإله الصائغ: في مفهوم الصورة "وقد تهيأ لنا بعد البحث في دلالة التصوير الفني وثمرته (الصورة) أن التصوير الفني الشعري يسعى إلى تقديم نسخة جزئية أو كلية للواقع (الحسي أو الشعوري) كما تهيأ للشاعر، وبأسلوب أدبي مؤثر، أما الصورة الفنية (الأدبية أو الشعرية) فهي نسخة جمالية تُستحضر فيها لغة الإبداع الهيئة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته وفق تعادلية فنية بين طرفين هما المجاز والحقيقة دون أن يستبد طرف بآخر".[٥]

والصورة عند عبد القادر الرباعي ابنة للخيال المتميز فيقول: "والصورة ابنة للخيال الشعري الممتاز الذي يتألف – عند الشعراء – من قوى داخلية تفرق العناصر وتنشر المواد ثم تعيد ترتيبها وتركيبها لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم..، والقيمة الكبرى للصورة الشعرية في أنها تعمل على تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة للكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون والمبنى بطريقة إيحائية مخصبة"[٥] ويرى أن" الصورة بالمفهوم الفني لها تعني: أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن...، أما المجال التفصيلي له فيجعل الصورة:

---

(١) مصطفى ناصف، **الصورة الأدبية، دار الأندلس**، بيروت الطبعة الثالثة، ص ١٩٨٤م، ص٨.

(٢) جابر عصفور،**النقد الأدبي الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، مرجع سابق، ص٨. وراجع للرد على مصطفى ناصف : ريتا عوض، **بنية القصيدة الجاهلية الصورة الشعرية لدى امرئ القيس**،مرجع سابق، ص ٦٥ وما بعدها

(٣) محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، د٠ت، ص٣٢

(٤) عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية معياراً نقدياً مع منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير، مرجع سابق٠ص١٥٩.

(٥) عبد القادر الرباعي،**الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط٢،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٩م، ص ١٥.

تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة، عنصر ظاهري وآخر باطني وأن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما: الحافز والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة." [١]

ويرى محمد غنيمي هلال أن تدرس الصور الأدبية "في معانيها الجمالية، وفي صلتها بالخلق الفني والأصالة، ولا يتيسر ذلك إلا إذا نظرنا لاعتبارات التصوير في العمل الأدبي بوصفه وحدة، وإلى موقف الشاعر في تجربته، وفي هذه الحالات تكون طرق التصوير الشعرية وسائل جمال فني مصدره أصالة الكاتب في تجربته وتعمقه في تصويرها، ومظهره في الصور النابعة من داخل العمل الأدبي والمتآزرة معاً على إبراز الفكرة في ثوبها الشعري"،[٢] وقد تعرض الناقد لفلسفة الصورة عند المذاهب الأدبية: الكلاسيكية، والرومانتيكية، والبرناسية، وغيرها.[٣] وهنالك الكثير من الدراسات تناولت الصورة الفنية ومنها: الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري لعلي البطل،[٤] والصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث لنصرت عبد الرحمن،[٥] ولنعيم حسن اليافي، مقدمة لدراسة الصورة الفنية،[٦] وقد اتجهت هذه الدراسات إلى أن مفهوم الصورة يعود إلى الآداب الغربية، وتناولها النقاد بالرد والتعليق.[٧]

ومن هنا يتبين أن الصورة الفنية هي صياغة الأفكار والمعاني والعواطف ضمن قالب موحي من خلال ألفاظ متناسقة تبهر المتلقي ليلتفت نحوها بطابع الإعجاب وهي تختلف من شاعر للآخر على حسب الموقف الذي يدعوه إلى قرض الشعر،" وتتمثل أهمية الصورة الفنية في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به"؛[٨] وسبب ذلك أنّ الصورة تمنح الأدب الحياة وتجعل من المعاني المبتذلة معاني مقبولة، وذلك بسبب قدرة الأديب على التصرف في التعبير اللفظي إسناداً،

---

(١) عبد القادر الرباعي، **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ط١، دار العلوم، السعودية، ١٩٨٤م، ص٨٥ ٨٦.

(٢) محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، دار نهضة مصر، القاهرة، د٠ت، ص ٣٨٧.

(٣) انظر محمد غنيمي هلال، **دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده**، دار نهضة مصر، القاهرة، د٠ت، ص ٥٧، وما بعدها

(٤) راجع علي البطل، **الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري**، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١م،
(٥) راجع نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**،ط٢، مكتبة الأقصى، عمان،١٩٨٢م.
(٦) راجع نعيم حسن اليافي، **مقدمة لدراسة الصورة الفنية**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢،
(٧) راجع كامل حسن البصير، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، مرجع سابق، وراجع محمد إبراهيم شادي، **الصورة بين القدماء والمحدثين**،ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٩١م،
(٨) جابر عصفور،**النقد الأدبي الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، مرجع سابق،ص ٣٢٧.

وتقديماً، وتأخيراً، وغيرها من أساليب وخصائص اللغة، وتبدو أهميتها أيضا في تمكينها الأديب من استكشاف تجربته وتفهمها كي يمنحها المعنى والنظام، وبافتقارها لا يستطيع الأديب تجسيد حالاته.[١]

وفي الإشارة إلى عناصر الصورة الفنية فإنها تشمل العبارات والألفاظ التي يحقق بها الأديب تأليفه الأدبي، وشاملة الخيال الذي نتج عن عاطفة قوية يعكسها الأديب في فنّه،[٢] أي أنّ الصورة تتكامل بجانبيها اللفظي المُحَسِّ والمعنوي المعقول، وهذه العبارات والألفاظ يستخدمها الشاعر مرتبة في نطقه، وفق ترتيب معانيه في نفسه ليتحقق له النظم، ويستخدم الأديب لتحقيق ذلك اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتراكيب، وكذلك الموسيقى والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة والتجانس،[٣] وسائر وسائل التصوير البلاغية.

واتسع مجال مصادر الصورة في النقد الحديث إلى الضلال والألوان التي تجلبها أفكار الشاعر ومشاعره، وشملت الصورة كل ما من شأنه إبراز المعاني، وشملت اختيار الكلمة المفردة، وشملت العبارة وشملت فكرة الأديب وعاطفته وخياله، فعدت بذلك المنهج وطريقة الأداء،[٤] و" أن من مصادر الصور الخيال، والواقع بنوعيه الحسي والذهني وما يتعلق بهما من مؤثرات"،[٥]

كما أن القصيدة تعتمد على الصور في نقل الأفكار، ومن هنا فلا بد من وجود تجانس بين الصور في القصيدة الواحدة لتؤدي المعنى كما يريد الشاعر، " فالصورة الشعرية يجب أن تكون جزءا عضويا في القصيدة متلاحمة، ومتجانسة مع بقية الصور الأخرى التي تشكل في مجموعها ما يسمى بتناغم الانطباع لأن شبكة الاتصال بين الصور تكون تحت سطح القصيدة، ومن دون هذا التواصل فإنه لا يمكن توصيل الحقيقة الشعرية".[٦]

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٢٧. وانظر: مصطفى ناصف **الصورة الأدبية**، دار الأندلس، بيروت ، ١٩٨٣م .

(٢)انظر: محمد عبد المنعم خفاجي، **دراسات في النقد العربي الحديث ومذاهبه**، دار الطباعة المحمّدية ، القاهرة ، د . ت ، ص ٤٦.

(٣) انظر: عبد القادر القط، **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي**، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨١م ، ص٣٩١.

(٤) انظر: محمد عبد المنعم خفاجي، **دراسات في النقد العربي الحديث ومذاهبه**، مرجع سابق،ص٤٦.

(٥) ناصر علي، **دراسة بعنوان: مفهوم الصورة الشعرية ومصادرها**، مجلة أفكار، وزارة لثقافة،الأردن، عدد٢، آذار٢٠٠٢، ص١٧.

(٦) المرجع السابق ذاته، ص١٧.

وقد وضع النقد الحديث شروطاً للصورة حتى تكون مقبولة في ذهن المتلقي ووجدانه، فالصورة عند المحدثين يجب ألا تكون برهانية عقلية؛ وذلك أنّ الاحتجاج يميل إلى التصريح الذي ينتفي معه الإيحاء،[١] كما ويحسن بالصورة الشعرية أن تكون مُوحِيةً، وفي هذه الحال يستطيع الأديب أن يجعل من الجملة القصيرة، أو اللفظة في موقعها معاني عدة، وهذا الإيحاء يتحقق، إذا كان الشاعر واسع الخيال، مستوعباً كثيراً من الصور الشعرية عند سابقيه، ليأتي بالمُبتدَع والجديد من الصور، لهذا عُدَّ الخيال " عنصراً أصيلاً في الصورة وإليه يرجع تحقيق الاندماج بين الشعور وغير الشعور عند الشاعر، و به يتحقق التوافق بين الوحدة والتنوع، وبهذه العناصر يتولد العمل الفني"[٢]، ورأى النقّاد أيضاً أنّ تكون الصورة معبرة عميقة في نفس صاحبها،[٣] منصهرة في تجربته، أي تكون معبرة عمّا في أعماق نفسه .

والصورة الفنيّة قد تكون موضوعية معبرة عن مشاعر وحالات نفسية، وأفكار عامة، أي معبرة عن المجتمع ومشاعره، ومصورة حالاته خيرها وشرها، ضعفها وقوتها، وفي هذه الحال يختفي شخص الشاعر وراء الصور، وقد تكون الصورة ذاتية جاء بها الأديب ليعبر بها عن حاله الخاصة، ويكون تأثير الخيال فيها أوضح من سابقتها، وما دام الخيال يغلب على هذا الضرب من الصور فإنّ إحساس الشاعر بنفسه يكون أقوى من إحساسه بمجتمعه.

---

(١) انظر: محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، مرجع سابق، ص ٤٤٢.

(٢) عبد الفتاح صالح نافع، **الصورة في شعر بشار**، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ، ١٩٩٨م. ص ٦١.

(٣) انظر: محمد عبد المنعم خفاجي، **دراسات في النقد العربي الحديث ومذاهبه**، مرجع سابق، ص ٥٢.

التطبيق في شعر البتيري :

"الصورة في الشعر هي وسيلة من وسائل الشاعر، للتعبير عما بنفسه وعن أحاسيسه ومشاعره، ونقل تلك الأحاسيس والمشاعر للمتلقي، من خلال إيجاد علاقة بين شيئين أو أشياء مختلفة، تربط بينهما رابطة ما، وقد تكون تلك الرابطة حقيقية، وقد تكون مجازية"(١)، " فالشعور يظل مبهما في نفس الشاعر فلا يتضح له إلا بعد أن يتشكل في صورة"(٢)، و البتيري شاعر تحدث عن وطنه فلسطين ومعاناة شعبه من الاحتلال الصهيوني الذي طال أمده؛ وهذا ما فتح الأفق أمام الشاعر لينهل صوره الشعرية من الواقع الذي مرّ به شعب فلسطين عبر سني الاحتلال ، فقد استطاع الشاعر رسم صوره المعبرة عن خلجات نفسه من الواقع فهاهي صور حسية وظفها الشاعر لخدمة موضوعه الشعري ،فيقول:

ولما تسلل صوتك
وانصب كالماء فوق شفاه الطريق
تبلل وقع الخطى من جديد
و لاحت لعيني أقواس وصل بعيد" (٣)

وبرز التشخيص في الصورة حيث جعل من الصوت شخصا يتسلل خلسة للوصول لهدفه الذي يصبو إليه، مشيرا من خلال هذه الصورة إلى الموانع التي تسبب معاناة الشعب الفلسطيني، وتشخيصه للطريق المتعطش للماء فقدوم هذا الصوت المتسلل وهو الماء لسد رمق تلك الشفاه، فهذه الصورة غنية بالحركة والصوت واللون حيث هذا القوس الموحي بالسعادة قوس الوصل الذي صور الشاعر من خلاله تقريب الخطى من فلسطين، وبصورة موحية بالصمود مستقاة من الواقع، يقول الشاعر :

" أنا واقف تتكسر الريح العنيدة في جبيني
أنا واقف
كالصخرة السمراء في الجبل الحزين" (٤)

صورة اعتمد الشاعر فيها على مظاهر الطبيعة ووظفها لبيان الصمود ، فقد استخدم الشاعر الريح رمز البطش الذي ينتهجه الصهاينة على أرض فلسطين، والصخرة رمزا للصمود واللون

---

(١)سعدي أبو شاور، **تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر**،مرجع سابق،٣٨٠.

(٢) عز الدين إسماعيل، **الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦٧م، ص١٣٦.

(٣) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص ١٣.

(٤) المصدر ذاته، ص١٧.

في الصخرة السمراء لبيان التصاق الشعب بأرضه وانتسابهم لها، فاعتمد الشاعر هنا على المحسوس، وعلى التشبيه ليكون صورة واقعية تبرز الصمود في مواجهة العدو الصهيوني.

وصورة ريفية من أرض فلسطين تظهر في قول الشاعر :

" حطت رسائلك الخجولة

كارتعاشات المناجل في خيالات الجياع " [١]

استطاع الشاعر هنا رسم صورة الخير والعطاء الذي يربط شعب فلسطين بأرضه التي زرعها وسلبت منه فهي صورة من ذاكرة الشاعر توحي بالحنين الذي رمى له الشاعر ليتضح حال الشعب بعد الاحتلال الجوع والقحط حيث أصبح هذا الخير فقط في المخيلة .

والسجن هذا الواقع الذي لم يسلم منه أبناء فلسطين وظفه الشاعر في قصائده بصورة العدو المتوحش فيقول :

" فتأكل القضبان من أعمارنا

ومن فؤاد أمنا الحنون " [٢]

فالسجن هنا جاء بصورة الوحش الذي يقتات على أعمار السجناء من أبناء فلسطين، صورة نابضة بالحركة والمعاناة، حيث الابن في السجن والعدو ينهب خيرات فلسطين، وهذه الأم التي رمز بها الشاعر لفلسطين، ومدى الظلم الواقع على شعب يعيش في حسرة الأم على وليدها، صورة حسية وظف فيها الشاعر الكناية فلم يقل فلسطين بل اكتفى بالأم كناية عنها، وهذا ما يحل بالأبناء أما الشيوخ فقد رسم الشاعر صورة يظهر من خلالها لون من ألوان الظلم والتعذيب لهذا العاجز فيقول :

" رأيتهم بأم عيني الرؤوم

يجردون الشيخ ساريا إلى الصلاة من ثيابه

يوضئون وجهه الجليل من زجاجة النبيذ"[٣]

وصورة يرسمها الشاعر لبيان ظلم الصهاينة الذي لا يراعي القيم الإنسانية ولا التسامح الديني، فهذه الصورة تعتمد الحركة واللون والزمن،فمن خلال ظلال اللفظة "ساريا" يوحي الشاعر بالهدف من السير ليلا للعبادة والطهارة، ودلالة لفظية على الظلام فهم يتكتلون في الظلام، وطهارة الشيخ مقابل تدنيس الصهاينة لهذه الأرض، لبيان رؤية الشاعر من أعمال الصهاينة .

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠.
(٢) المصدر ذاته، ص ٢٨.
(٣) المصدر ذاته، ص ٣٠.

وصورة من أرض فلسطين من المعركة الدائرة ما بين عدو مسلح ومدافع عن وطنه أعزل يقول :

" قومي لنموت معا أو نحيا في (بوز) المدفع
فكلانا من وطن يتشهى الشوق العلني " (٣)

صورة موحية بواقع الحياة على أرض فلسطين والدمار الذي يحل بها وظفها الشاعر لحث أبناء شعبه على القيام بدورهم والصمود في وجه أسلحة العدو، فمن كلمات الحياة اليومية استطاع الشاعر أن يوظف هذه اللفظة للدلالة على المواجهة والتحدي، والصورة هنا حسية تعتمد المجاز.

ويعبر الشاعر بصورة رمزية من خلال تفاعل في مشاعره، واستخدام الكلمات بشكل رمزي قريب من الأذهان ولا يخرج إلى الغموض، فيقول :

" أنا أدري
أن حبي غيمة تمطر نارا
.....
أنا أدري أن حبي
نبتة تزهر موتا " (١)

فهذه الصور المعتمدة على الرمز في طرحها، فهنا جاءت لتبين أن الغيمة رمز العطاء والخير، فقد جعلها الشاعر تحمل النار والخلاص من عدو فلسطين، والزهرة رمز الجمال جعلها رمزا للموت في سبيل التحرير، وهنا جاء استخدام الشاعر لهذه الرموز الطبيعية على غير المتعارف عليه؛ ليرسم صورة تعبر عن انفعال الشاعر وحلمه بالخلاص والرجوع إلى فلسطين بسلام وأمن، واعتمد الشاعر فيها على الخيال وجعل من الصورة توحي وتبتعد عن المباشرة.

ويبحر الشاعر في عالم الخيال ليرسم صورة لفلسطين فيقول :

" تترأين لعين البحار المبعد جوهرة
تتمنع في قبضة قرصان
بل أما مبحرة بصغار نبتوا في جذع حزيران
وفي أعينهم تتلألأ أنجم تشرين " (٢)

---

(١) علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده** ،مصدر سابق، ص ٢٦
(٢) المصدر ذاته، ص ٢٧
(٣) المصدر ذاته، ص ٥٨.

وصورة فلسطين التي ذهب بها الشاعر إلى عالم الخيال، فجعل منها في حياة البحر وما ينتابه من خوف من القراصنة المعتدين حيث رمز الشاعر بهم للصهاينة، وهذا الرمز من قبيل الظلم والتعدي على حقوق الآخرين، وهذا ما حل بفلسطين، والشاعر هنا رسم صورتين الأولى أن العدوان قد تعرضت له فلسطين حيث شخصها الجوهرة التي سبيت، والصورة الثانية الأم التي تبحر برفقة صغارها في مواجهة العدو، ويظهر تجانس بين الصورتين حيث تكمل كل واحدة الأخرى؛ لبيان ما حل بفلسطين وشعبها نتيجة الاحتلال الغاصب، وحزيران صورة تعبر عن النكسة التي أصابت شعب فلسطين، وتشرين صور للأمل الذي عقده أبناء فلسطين على قرارات مجلس الأمن الدولي في تشرين ثاني عام ١٩٦٧م، المتضمنة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها،(١) ورسم الشاعر صورة الخلاص والتحرير والعودة للوطن بعد الهزيمة في الحرب نجوما بعيدة ؛ لعدم تطبيق هذه القرارات.

وصورة الأم الحزينة القابعة في انتظار سماع أخبار ولدها، إذ استطاع الشاعر بث روح الحركة في هذه الصورة بكل ما فيها من تفاصيل، فيقول:

" على الباب دُقوا مرارا
إلى أن ترى جمرة الشوق في سمع أمي الخفيف
فتخرج زحفا على ركبتيها إليكم
تشق عليكم ثياب الحزانى " (١)

وصورة نابضة بالحركة والصوت يرسمها الشاعر لتبين حال فلسطين، فهذه الصورة مستوحاة من واقع الأم الفلسطينية التي شاخت وهي تبكي ولدها الذي غادرها إلى عالم الموت بع أن خرج للدفاع عن وطنه، فقد وظف الشاعر هذا المشهد المتكرر في حياة كل أم يغيب ولدها عنها؛ ليعبر عن الموت الذي حلّ بأبناء فلسطين، فيبين اللهفة والعجز والحزن، فكل هذه العناصر جمعها الشاعر ورسم صورته، واستخدم المحسوس في رسم صور خيالية، فيقول:

" يتبخر برق
فوق حصان الرعد
ينتفض البيت برمته
وعلى الشباك يكبر في بال الزنبقة الوعد" (٢)

---

(١) انظر: سمير مطاوع، **الأردن في حرب** ١٩٦٧،ط١، عمان،١٩٨٨م.ص ٢٤٣.
(٢) علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي** ، مصدر سابق ، ص ١٠.
(٣) علي البتيري، **شبابيك أتعبها الانتظار** ، مصدر سابق، ص ٣٨.

صورة خيالية استطاع الشاعر توظيفها باستخدامه عناصر الطبيعة بشكل مغاير لما تبصره الأعين ويتداعى للأسماع فالبرق يتبخر ولا يضيء والرعد حصان سريع، رموز كثفها الشاعر للوصول إلى حالة الذعر في انتفاض البيت، وجمع هذه الرموز الحسية للكشف عن حلم العودة من خلال الانتفاضة التي يرجوها الشاعر.

وبصورة حسية يرسم الشاعر شوقه للرجوع إلى وطنه جاعلا من فلسطين كما ورد سابقا الأم، فيقول :

" أبصر أمي تلوّح لي بالسنابل
تركض نحوي وتركض حتى
تقوم بقلب قيامة خبزي ومائي
فأشهد خصبا مديدا أمامي
وأترك جثة جوعي ورائي
وأشهد عرس اخضراري " [١]

صورة تعج بالحركة واللون من ذاكرة الشاعر تحمل رمز الخير والعطاء في بلده" تلوح " للترحيب والاستقبال، "السنابل " للعطاء والنمو والتجديد، " خبزي ومائي" للحياة والازدهار، فهذا ما رسمه الشاعر لفلسطين وانتقل إلى صورة الموت والجوع في المنفى والبعد عن فلسطين، ففي هذا المقطع صورتان صورة خير فلسطين وما يقابله من جوع وحرمان في المنفى، وصورة الفرح في حلم العودة والرجوع وتحرير فلسطين، وقد تكون الأم مريم عليها السلام، فالصورة تحوي بعدا دينيا متمثلا بالسنابل، و" الخبز المقدس"، والماء، وهي رموز مسيحية توحي بصورة الخصب.

ويبني الشاعر صوره بشكل درامي كمقاطع حوارية فهنا صور مبنية على الحوار الذي يدور بين الشاعر وشيخ العرّفين، فيقول :

"كاف يا ولدي ما قلت، فبرجك يتأرجح ما بين العقرب والحوت
تعشق بنتا يرقد في عينيها بحر فلسطين
تتزوج منها ... لكنك تنجب أطفالا منفيين..
الأول يتبناه الجوع فلا يتنشق رائحة القوت
والثاني ترضعه الغربة تلقمه ثدييها أعواما فيموت ..
والثالث يطرده العالم بعصا تأخذ شكل الأفعى

---

(١) علي البتيري ، **لماذا رميت ورود دمي** ، مرجع سابق، ص ١٠.

والرابع..والخامس.. والسادس.. والسابع.. والـ ..
يتجذر عشقك فيهم ..
فيشقون عباب الموت .. الجوع .. المنفى..
يصطنعون ضلوع الزورق من خشب التابوت"[١]

صورة توحي بمضمون حياة المنفى الذي يعاني منه أبناء فلسطين رسمها الشاعر على شكل حوار دار بينه وبين شيخ العرافين الذي نظر إلى مستقبل شعب فلسطين، وظهر له ما حل بشعب شرد عن وطنه من تيه وضياع في عالم المنفى، فهذه الصورة وظفها الشاعر من خلال صور جزئية جانس بينها لتشكل لوحة تعج بالحياة والحركة مستندا على بعض الرموز مع عدم الغلو في الاستخدام الرمزي وهي: " الموت ،الجوع، المنفى، الغربة، وعصا موسى عليه السلام،" ومن خلال الأرقام "الأول، والثاني، والـ .. " التي تركها الشاعر مفتوحة لا مجال لحصرها وكأنه يقول هذا حال شعب بأكمله، ومن خلال هذه الصور توصل الشاعر إلى بث روح الأمل في نفوس أبناء شعبه، حيث توالت هذه الصور للوصول إلى صورة بناء مركب النجاة والخلاص الذي صنع من خشب التابوت، وهذا رمز للتضحية والفداء في سبيل تحقيق الحلم الذي ينشده الشاعر وأبناء شعبه، فالصور الجزئية تبين وضوح التجربة في ذهن الشاعر فقد عاشها وتفاعل معها، ونقلها مشحونة بالدلالات المتكاثفة؛ لرسم الصورة الكلية في التعبير عن المنفى وحلم العودة.

فمن خلال الصورة استطاع البتيري ربط أجزاء القصيدة الواحدة، والمحافظة على واقعية القصيدة دون الوقوع في مزالق التقريرية والمباشرة، مستخدما عناصر الصورة الحسية والمعنوية في بناء قصائده التي تعتمد كثيرا على الصور في نقل المعنى دون تكلف، وإبراز رؤيته من الموضوع الذي يطرحه، ويمكن إجمال ملامح الصورة الفنية عند البتيري بما يلي :

١. استعماله بعض الألفاظ القريبة من لغة الحياة اليومية، ويستمد صوره من الواقع .
٢. امتزاج صوره ببعض الرموز، واعتمد فيها على الإيحاء.
٣. تسيطر على صوره بعض الانفعالات المشحونة بالثورة
٤. الاعتماد على الصور الجزئية التي تساعد على ترابط أجزاء القصيدة في صورة كلية
٥. تدور الصورة حول الموضوع العام للقصيدة.

---

(١) علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده**، مصدر سابق، ص ٩٦.

ثانيا : الرمز في شعر علي البتيري :

توطئة

إن تحديد دلالة كلمة الرمز عند المعجميين العرب القدماء متشابه؛ حيث يذكر الفراهيدي أن" الرمز باللسان،الصوت الخفي، ويكون الرمز الإيماء بالحاجب بلا كلام ومثله الهمس"[١]، أما ابن دريد فيذكر أن الرمز هو" الإيحاء والإيماء، ورمز يرمز رمزا وفي التنزيل(إلا رمزا)[٢]أي إشارة، والله أعلم"[٣]، ويرى الأزهري أن الرمز هو" تحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة بصوت،إنما هو إشارة بالشفتين وقيل إن الرمز إشارة بالعينين والحاجبين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين"[٤]، وجاء في لسان العرب لابن منظور أن الرمز هو" تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين"[٥]، ومن هنا يتبين أن دلالة كلمة الرمز عند العرب تتركز في أنه تعبير بالإشارة، إما بصوت خفي أو بحركة الحاجب أو الشفتين أو الفم أو العينين أو اليد.

أما في المعاجم الحديثة فقد وردت كلمة الرمز بدلالة أوسع، ففي المعجم الوسيط الرَّمز هو:" الإيماء والإشارة، والعلامة، و في علم البيان : الكناية الخفية،(ج) رموز، الرمزية: الطريقة الرمزية: مذهب في الأدب والفن ظهر في الشعر أولا، يقول بالتعبير عن المعاني بالرموز والإيحاء، ليدع للمتذوق نصيبا في تكميل الصورة أو تقوية العاطفة، بما يضيف إليه من توليد خياله. [٦]

كما وردت كلمة الرمز بدلالة جديدة بعيدة عن معنى التعبير بالإشارة، فقد ذكر المستشرق الهولندي دوزي في تكملة المعاجم العربية أن" رمز: أومأ وأشار ولم يصرح، وهي من صرّح ومنه قصيدة مرموزة وهي يومئ فيها إلى الأشخاص والأشياء إيماء خفيا... ، ورمز: كناية

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية،بغداد،١٩٨٤م،ج٧،ص٣٦٦.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية ٤١.

(٣) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري،**جمهرة اللغة**،ط١،مكتبة الثقافة الدينية، د.ت،ج٢، ص٣٢٥

(٤) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق أحمد عبد العليم، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب،القاهرة، د.ت،ج١،ص٢٠٥.

(٥) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، م٥، د.ت، ص٣٥٦.

(٦) إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط** ، ط٢،القاهرة، ١٩٧٢ ج١، ص٣٧٢. .

تلميح مجاز استعارة وحكمة ومثل يعبران عن فكرة أو عاطفة تلميحا، ورمز رقم، علامة، ورمزي مجازي استعاري تصوفي"[١].

وعرّف معجم مصطلحات الأدب الرمز بما ملخصه أنه" كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليها ليس بطريقة المطابقة التامة وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئا ملموسا يحل محل المجرد...، وقد اتفق العلماء المحدثون على التمييز بين الرمز والعلاقة أو الإشارة، فالرمز يستعمل في أغراض مختلفة وتلعب العوامل النفسية دورا[هاما] في تحديد دلالته...، كما أن الرمز يشمل كل أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة بما فيها من علاقات دلالية معقدة بين الأشياء بعضها ببعض".[٢]

أما الرمز في المعجم المفصل في الأدب فهو" علامة تعتبر ممثلة بشيء آخر ودالة عليه، فتمثله وتحل معه، والرمز يمتلك قيما تختلف من قيم أي شيء آخر يرمز إليه كائنا ما كان وهو كل علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر".[٣]

وقد تعددت الآراء حول مدلول الرمز اصطلاحا فمنها: " الرمز: هو الكناية التي قلت وسائطها إلى المكنى عنه مع خفاء"[٤]، وعند أحدهم هو" محاولة تقديم حقيقة أو أشكال مجردة أو شعور أو فكرة غير مدركة بالحواس في هيئة صور أو أشكال محسوسة"[٥]، وعند باحث ثان هو" إدراك أن شيئا ما يقف بديلا عن شيء آخر أو يحل محله أو يمثله ؛ بحيث تكون العلاقة بين الاثنين هي علاقة الخاص بالعام أو المحسوس العياني بالمجرد، وذلك على اعتبار الرمز شيئا له وجود حقيقي مشخص إلا أنه يرمز إلى فكرة أو معنى محدد"[٦]، وعند باحث ثالث هو" الإشارة بكلمة تدل على محسوس أو غير محسوس، إلى معنى غير محدد بدقة..، ووظيفة الرمز هي إيصال بعض المفاهيم إلى الوجدان بأسلوب خاص لاستحالة إيصالها بأسلوب مباشر مألوف".[٧]

---

(١) رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**،نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢م ،ج٥، ص٢١٥.

(٢) فليب سيرنج، **الرموز في الفن، الأديان، الحياة**، ترجمة عبد الهادي عباس، ط١، دار دمشق،١٩٩٢م.ص٦.

(٣) محمد التتونجي، **المعجم المفصل في الأدب**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٣م، ص٤٤٨.

(٤) كمال حسن البصير، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي** ، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

(٥) محمد فتوح أحمد، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، ط٣، دار المعارف، القاهرة ،١٩٨٤م، ص ٣٣.

(٦) فليب سيرنج، **الرموز في الفن، الأديان، الحياة**، مرجع سابق،ص٥.

(٧) عبد الفتاح النجار، **التجديد في الشعر الأردني ١٩٥٠-١٩٧٨م** ، ط١، دار ابن رشد، عمان، ١٩٩٠م. ص٢١٣،ص٢١٤.

ومن الظاهر أن الرمز لا يبتعد عن معناه اللغوي ويبقى يدور في فلك الكناية والإيماء والإيحاء، يأتي به الشاعر للكشف عن الحقيقة دون التعرض لها بشكل مباشر، فالرمز يتيح للمتلقي معنى خفي آخر وراء النص، فيأتي الشاعر برموزه من الواقع لتكون قريبة من الأذهان ولا تدخل في دائرة الغموض، فالرمز" يبنى على علاقات تتصل بالواقع المعاش ويعكس صورة من صور الواقع، أو مجموعة من الصور، ترتكز أحيانا على التراث، أو الأسطورة، أو اللفظة ذاتها من خلال دلالتها وإيحاءاتها". [١]

أما الرمزية فقد ظهرت في الآداب الغربية" كحركة أدبية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، اعتمدت الرمز لغة، والموسيقى إيقاعا، والجمال غاية ومحورا"[٢]، ونشأت الرمزية في الأدب الأوروبي" رد فعل ضد ما سبقها من تيارات أدبية، وبخاصة التيار الرومانسي والتيار البرانسي"[٣].

وقد تأثر الأدب العربي المعاصر بالاتجاه الرمزي الذي ظهر في أوروبا؛ نتيجة عدد من العوامل منها: حركة الترجمة، والهجرة أو الأدب المهجري، والإرساليات التبشيرية، وعوامل الاحتلال والانتداب والاستعمار الأوروبي لبعض البلاد العربية، وصدور بعض المجلات العربية التي اهتمت بالمذهب الرمزي، كمجلة المقتطف التي أنشئت في بيروت ١٨٧٦م.[٤]

أما مظاهر التأثر الرمزي في الشعر العربي فهي" أولا:إقامة التعبير الجزئي على الوسائل الرمزية للتجريد، من تراسل بين المحسوسات، ثم بينها وبين المعاني المجردة، مع ما يقترن بذلك من دقة في اختيار أدوات اللفظة الموحية، وتجديد في بعض العلاقات التركيبية من مثل حذف أدوات التشبيه، وغرابة الأوصاف التي تستند إلى موصوفات ليست من نمطها، وثانيا: بناء الصورة الجزئية على المفردات الرمزية السابقة بالاعتماد على تجسيد المعنويات، وتشخيص المجردات أو الماديات الجامدة مع ما يقترن بذلك من تظليل الصورة وتكثيف إيحائها، وثالثا: الاستعارة الرمزية البسيطة التي نادرا ما تصل إلى مشارف الرمز".[٥]

---

(١) يحيى زكريا الأغا، **البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر**،ط١، دار الحكمة، خان يونس، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٨.

(٢) ياسين الأيوبي، **مذاهب الأدب- معالم وانعكاسات الرمزية**،ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م،ج٢،ص٩.

(٣) محمد فتوح أحمد، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، مرجع سابق، ص٢٣

(٤) انظر ياسين الأيوبي، **مذاهب الأدب- معالم وانعكاسات الرمزية**، مرجع سابق،ج٢، ص١٣١-١٣٢. وانظر محمد فتوح أحمد، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص١٧٢-١٧٣.**

(٥) محمد فتوح أحمد، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، مرجع سابق، ص ٣٣.

الرمز في شعر البتيري:

لقد استخدم الشاعر في قصائده عددا من الرموز سواء أكانت على نمط الألفاظ أم الرموز الدينية أم الرموز التراثية، ووظفها لخدمة الغرض العام للقصيدة؛ حيث رسم الشاعر صورا رمزية موحية بمضمون القصيدة، فبرزت جماليات القصيدة من حيث البناء والمضمون.

أما الألفاظ فقد استخدم الشاعر الكثير منها استخداما رمزيا، حيث أصبحت هذه الألفاظ تأخذ بعدا واسعا في الدلالة ومنها " الطائر " هذه اللفظة التي وظفها الشاعر رمزا بشكل مكرور في القصائد وخاصة التي عبر بها عن حياة الشعب الفلسطيني في المنفى ، فيقول :

وإياك أن تسمعيها
حكاية طير طريد
أحب الحمامة دهرا
ولما تجرح حبل الوصل بعينيه
أقسم أن لا يغازل [١]

فجعل الشاعر من الطائر الطريد رمزا لأبناء فلسطين الذين شردوا من بلادهم وحرموا من الوصل بها، فقد وظف الشاعر الرمز للإيحاء بصورة البعد والتنقل بين البلاد دون عنوان ولا هوية، فارتباط المنفي وحبه لبلده فلسطين الغائبة خلف أسلاك العداء وهذا الطير رمز التشرد والتيه في البلاد بعيدا عن وطنه فلسطين التي رمز لها بالحمامة؛ للدلالة على الحب والسلام وشعور الإنسان بالأمن على أرضه، ويقول الشاعر في موضع آخر :

من أين يعبر طائر الأحزان في صدري
إلى جزر الأحبة
وموانئ العشاق سدت بالأعاصير الوبيلة ؟
من أين يعبر طائري ؟ [٢]

وجعل الشاعر الطائر هنا رمزا للغريب الذي نفي عن بلده، وقلبه يذوب شوقا على انتظار اللقاء بها، فالطائر رغم انتقاله من مكان إلى آخر بحرية تامة، جعله الشاعر مقيدا لا يستطيع العودة والرجوع لموطنه نتيجة المعيقات التي تحول بينه وبين فلسطين، ويقول في موضع آخر :

---

(٣) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص ١٢.

(٢) المصدر ذاته، ص ١٥.

تجمل حبيبي
تجمل بصبر الطيور الفقيرة
على البرد والجوع والاصطياد [٢]

فهذا الاستخدام الرمزي للطيور أضفى على المفردة دلالة جديدة عند الشاعر التصقت بالشعب المشرد؛ حيث أصبح هذا الشعب مثلا يضرب في الصبر على ضنك العيش وقلة الحيلة، ورمزا للتحرر والخلاص.

واستخدم الشاعر لفظة "الجراد" ورمز بها للصهاينة وأعمال النهب التي قاموا بها في فلسطين، فيقول الشاعر:

الليل في مدينة السلام
نهر من الغزاة
عندما يفيض يكتوي المعذبون
فتشتهي غرائز الجراد لقمة الجياع
والصغار بالرغيف حالمون [٣]

ويأتي الشاعر بالجراد بدلالته السلبية رمزا معبرا عن العدوان والتسلط والاستيلاء على الخيرات، ورمزا للقحط والهلاك الناتج عن أعمال العدو الصهيوني في تلك الأرض الطاهرة، فقد وظفه لبيان حال فلسطين بعد تعرضها للعدوان المدمر الذي نهب كل شيء حتى فتات الخبز الذي لطالما حلم به الصغار لسد رمقهم، فهذا العدو الذي رمز له بالجراد جعله الشاعر يستطيب قوت الأطفال الجياع؛ ليظهر ظلمه وتجرده من القيم الإنسانية.

وفي موضع آخر يرمز بالجراد إلى الحياة البائسة التي يعانيها شعب فلسطين فيقول الشاعر:

وقلت يا عويل أخوتي الصغار
الحزن كالجراد باض في أعصابنا وطار
وراح في حدائق العيون
يخمش السيقان والفروع والثمار [١]

فالجراد رمز اليأس والحزن الذي أصاب الشاعر، استخدمه بصورة تبين أن هذا العدو

---

(٢) علي البتيري، **شبابيك أتعبها الانتظار**، مصدر سابق، ص ٣٦.
(٣) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص ٢٨.
(١) المصدر السابق ، ص ٧٠.

الذي سبب الحزن وجعل منه إرثا يورثه الأجداد للآباء والأحفاد، خلّف الدمار الذي حلّ بفلسطين وقد طال أمده؛ حيث عثا الجراد في أبناء شعب فلسطين تحطيما وقهرا منذ أن دخل العدو الصهيوني وتكاثر، فهذا الجراد لم يقتحم البلاد وحسب، بل باض وتكاثر ليشمل التدمير كل فئات الشعب: " السيقان" وهم الأجداد، و"الفروع" وهم الآباء، و" الثمار" وهم الأبناء الذين يقع على كاهلهم حلم تحرير فلسطين، ويظهر الشاعر صورة أعمال الغاصب الذي لم تأخذه الرحمة بعويل الصغار وأنينهم .

وكذلك فقد استخدم الشاعر الكثير من الألفاظ استخداما رمزيا، وقد تبين ذلك جليا أثناء الحديث عن الصورة الفنية ومنها: الزيتونة رمزا للسلام، والسنابل رمزا للخير والعطاء، والمطر رمزا للتحرير والخلاص، والأم رمزا للوطن فلسطين حيث ربط الشاعر الوطن بالأم التي تحنو على أطفالها وتشتاق لهم .

- رموز دينية:

والرموز الدينية هي تلك الرموز التي يستقيها الشاعر من الديانات السماوية، وتتضمن رموز الأنبياء وما يتعلق بهم، والشاعر يستعين بهذه الرموز لأنها واقعية ولا مجال لإنكارها، "وهي تشكل عضوا أساسيا في جسد حياة المتلقي والشاعر اليومية حيث تمثل واقعا اعتقاديا يؤمن الناس به، فتصبح في يدي الشاعر مواد تفوق غيرها من المواد الأسطورية التي فقدت الآن طابعها الاعتقادي والإيماني".[١]

فيستخدم الشاعر رمزا دينيا يتوافق والغرض العام للقصيدة، من خلال أحداث قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، فيقول :

جاءتني أمي بوسادة دم
غطتني بقميص أخي الضائع
في أدغال حزيران ، وقالت
نم يا ولدي.. نم
حاولت المشي على أهداب نجوم الظهر
ولكني.. تحت لحاف الدمع غفوت
وجاءتني الرؤيا تتلوى في سقف الهم
فرأيت الوطن المغصوب يعود

---

(١) محمد عبد الرحمن عطيات، **الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي**، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس، ٢٨ أيلول-٣ تشرين أول ١٩٩٦م، وزارة الثقافة، عمان،٢٠٠١م، ص٣١٨.

عيناه المتعبتان
ارتمتا فوق ذراعي
طرزتا وجه قميصي بدموع سود [١]

فهنا يستخدم الشاعر أحداث قصة يوسف عليه السلام، لتفيض إيحاءاتها الرمزية بالدلالات، فيظهر ضياع يوسف رمزا لضياع الفلسطيني بعد نكسة حزيران في حرب ١٩٦٧م، فيما تبدو الأم رمز الأرض الفلسطينية المتمسكة بابنها الفلسطيني الذي يقيم على أرض وطنه، خوفا من أن يحدث له ما حدث لأخيه، فيشير الشاعر لما حدث لشعب فلسطين في حرب حزيران من ضياع وتيه في البلاد، ويظهر قميص يوسف رمزا للموت والحياة، فقد وظفه الشاعر للدلالة على الموت في المرة الأولى موت أخيه الضائع، كما ورد في نهج القصة في النص القرآني عندما كان القميص دليل موت يوسف، ومرة ثانية للدلالة على الحياة حين يلقيه على عيون الوطن المتعبة لترتد بصيرة، كما في القصة عندما أصبح القميص دليل حياة يوسف، وأبصر والده بعد أن ألقي القميص على وجهه، الخلاص والنور لشعب فلسطين الذي يعاني من المعارك الدامية والتدمير .

ويستخدم الشاعر المسيح ومريم العذراء رمزا لحال الفلسطينيين وإصابتهم باليأس؛ نتيجة التهاون العربي والتخاذل في الوقوف إلى جانب فلسطين، فيقول :

اخلع نعليك على عتبات الحزن الموصل
هاك.. تيمم بقميص شهيد واخشع
لم ينطق طفل هوانا في المهد ، ولم يسقط
من جذع النخلة ما يبهجنا
قام الناس علينا
واقتلعوا من أرض العشق مصباحا وقصيدة "[٢]

فقد استخدم الشاعر هذه الحادثة كرمز لما يعانيه شعب فلسطين من نقص في مد يد العون والمساعدة من العرب والمسلمين الذين رمز لهم " بالنخلة " فهي رمز عطاء العرب وكرمهم، فقد أخذ الشاعر حال مريم العذراء وعدم تصديقها وابتعاد الناس عنها بحال الشعب الفلسطيني الذي يتنحى عنه العرب، فهي حالة من اليأس يعبر عنها الشاعر بهذا الرمز الذي ارتبط بفلسطين عبر الزمن من خلال قصص المسيح مع اليهود.

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣.
(٢) علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده**، مصدر سابق، ص ٢٨.

ووظف الشاعر بدء الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة رمزا لبدء الثورة، والانتفاضة في فلسطين، فيقول :

أدركت أن وضوء المحارب فرض
وأن صلاة النبي المطارد في ليل مكة فرض
فأعطيت كل الشرايين من جسد الأرض
إيعاز بدء الطهارة [١]

إن ما تعرض له سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ظلم و مجابهة حين بدأ الدعوة إلى الإسلام في مكة مما دعاه للخروج مهاجرا للمدينة ثم عاد وفتحا ونشر دين الحق فيها وظفه الشاعر كرمز لبيان أهمية الصبر والتحدي لبدء الانتفاضة، وأن "هدف الشاعر من خلال هذا الرمز وطني وقومي وإنساني إضافة إلى إبراز صورة الألم الذاتي الذي كان يعيشه قبل انطلاق الثورة الفلسطينية، وما أن قامت حتى رأى فيها خلاصا من الواقع المؤلم ، وكذلك بعث سيدنا محمد أصبح صورة للخلاص من الواقع الجاهلي"[٢]، واستخدم الشاعر الرمز ليبين شوقه الشخصي لفلسطين وما يتعرض له من حرمان وبعد في انتظار اللقاء بها والرجوع لها بعد أن يعم الأمن، فيؤكد طول النفي والبعد والتشريد، ومن خلال الرمز يبرز صورة الواقع الذي يعيش حيث اسقط الرمز على الواقع.

وتناول الشاعر قصة سيدنا نوح عليه السلام والطوفان وجعل منها رمزا أسطوريا، وذلك من خلال الأسطورة الكلدانية حيث أشار لها الشاعر في حواشي ديوانه أسطورة الغراب والحمامة التي عادت إلى سيدنا نوح وعلى رجليها أثر الطين في حين أن الغراب لم يعد، فيقول :

وأنا منذ الطوفان الأول
أطلقت غرابا وحمامة
بحثا للجيل الآتي عن بر سلامة
لكني ما زلت على مركب إيماني
أتنشق رائحة الطين المحمولة في
منقار يسجع بالبشرى
أو رجل غراب [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٧.

(٢) يحيى زكريا الأغا، **البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٣) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق،ص ٤٨ – ٤٩.

وهنا وظف الشاعر الأسطورة لبيان ما يعانيه شعب فلسطين وأملهم في الرجوع لوطنهم وتحقيق السلام للأجيال القادمة، وبيان لصمود هذا الشعب دون يأس على الرغم من طول الانتظار الذي لا طائل منه، والخروج بالشعب للعمل على تحقيق الخلاص دون انتظار المستحيل فالحمامة لم تبشر والغراب لم تطأ رجلاه الطين، فهذا الرمز الأسطوري شكل صورة نابضة بالأمل الذي ينشده الشاعر، والحلم بالعودة إلى أرض فلسطين ، والوصول إلى بر الأمان.

- *رموز تاريخية:*

وجعل الشاعر من سيف صلاح الدين رمزا للثورة وتخليص فلسطين من العدو الصهيوني، ونهوض الشعب بالانتفاضة، فيقول :

وأنا أتبعه بسراج دمي
كي نبحث في سرداب الليل
سويا
عن سيف صلاح الدين
قيل ابتلعته
الريح المتعددة الجنسيات
قيل تحلت ببريق السيف الجنيات
قيل امرأة من حطين
دسته بخابية القمح وغافلة الدورية [١]

واستطاع الشاعر من خلال الرجوع إلى فتح صلاح الدين للقدس أن يجعل من سيف صلاح الدين مجدا يطلبه أن يعود لتخليص شعبه من العدوان الذي حل بهم، فهذا السيف رمز للقيادة الحكيمة التي لا تهاب في الدفاع عن فلسطين، ويؤكد الشاعر على أن يستمد الشعب قوته من التاريخ الحافل بالنصر، وجعل من السيف رمزا في التحدي لخلاص فلسطين من الظلم، والشاعر أخرج السيف إلى عالم التيه والبحث عنه في قدوم جيل يعيد مجد صلاح الدين وبطولته لتحقيق الخلاص من الظلم، الجيل الذي يمثل الثورة على مجريات الأحداث والسعي وراء التحرير وإنهاء تكاثر العدو الصهيوني على أرض فلسطين، ويؤكد الشاعر أنه على أرض فلسطين كان مجد العرب في الماضي ولابد له من العودة.

---

(١) علي البتيري، **شبابيك أتعبها الانتظار** ، مصدر سابق،ص ١٣٣ – ١٣٤ .

ويعود الشاعر إلى تعدي الفرنجة على بلاد الأندلس وخص بالذكر مدينة قرطبة وهذه عودة للتاريخ الإسلامي حيث استمد من التاريخ رمزا للعداء الذي تعرضت له بلاد المسلمين مبينا أن فلسطين بلد إسلامي ويجب الوقوف إلى جانبه والتصدي للخطر الموجه إليه، فيقول :

ذئاب الفرنجة تعوي بقرطبة الفاتحين
تسد الطريق المؤدي إلى صبوة العشق
حيث ابن زيدون يلهو ببيت من الشعر
في قصر ولادة المتصابي [١]

فمن خلال العودة إلى التاريخ واستخدام " ابن زيدون و ولادة" وما تمتعا به من لهو ومجون في العشق وانصرافهم عن التصدي لما حل بهم من خطر كرمز للتخاذل والهوان والتنحي عن الذود عن القضية الفلسطينية في عالم الشعراء، فيبعث الشاعر برسالة رمزية للشعراء في عصره للوقوف إلى جانب القضية الفلسطينية والدفاع عنها في أشعارهم وعدم التخاذل والانشغال باللهو كما حدث مع ابن زيدون وولادة وعشقهما، فيوحي الشاعر بلهو ابن زيدون لما حدث في بلاد الأندلس من لهو جعل من السهل أن تقع بلادهم تحت يد الفرنجة، ويبين الشاعر أن على الشعراء أن يستفيدوا من تجارب الآخرين، ويحافظوا على حب الوطن، ويؤكد أن دور الشاعر وكل شاعر هو في أن يقوم بتكريس جهوده للذود عن وطنه، وتوعية الأجيال القادمة بأهمية ذلك.

وأخذ الشاعر من حب قيس ابن الملوح لليلى العامرية رمزا حيث أن فلسطين لأبناء شعبها ليلى التي يبذلون الكثير لتحريرها وللقاء بها، فيقول :

احذروا في انتصاف المسافة
ما بين قيس وليلى، وقد أينع الوصل
أن يشهق الشوق مرتطما بضحايا القبور،
ومختنقا بالعظام [٢]

ومن خلال الرمز يبين الشاعر حال الحرمان والبعد التي عانى قيس، بحال شعب فلسطين الذي شرد في عالم النفي والغربة، وحال انتظار ليلي وشوقها لقيس، بحال فلسطين واحتراقها

---

(١) علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده** ،مصدر سابق، ص ٧١.

(٢) علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي** ، مصدر سابق، ص ١٨ .

شوقا للقاء بأبناء شعبها، وقد اتخذ الشاعر هذا الرمز في كثير من مقاطعه الشعرية ووظفه لخدمة الغرض العام من القصيدة وجعل منه صورة جزئية تدخل في تكوين صورة كلية وهنا كانت صورة الحد الفاصل مابين البعد والرجوع .

وكذالك استخدم الشاعر ليلى ليرمز بها لفلسطين و معاناته الشخصية في البعد عنها، فيقول :

من بعد أن زهق السؤال على الشفاه المستغيثة
حتام يبقى قيسك المجنون يا ليلى
طريدا عن بيوتات القبيلة
حتام يبقى بوحه العذري مصلوبا
على باب الخميلة [١]

فالشاعر يجعل من قيس رمزا له ، ومن ليلى رمزا لفلسطين، ويرسم العلاقة ما بينه وبين فلسطين بعلاقة الحب العذري الذي يصل إلى مرحلة الجنون، ويلتفت الشاعر إلى علاقة "قيس" شعب فلسطين "بالقبائل" العرب، ويتساءل عن الزمن الذي يمكن أن تبدأ فيه علاقة الرضا والحب ليتوصل بذلك إلى احتضان ليلاه، فهو يحمل العرب عبء القضية منطلقا من خلافاتهم التي ساعدت على إيقاع المأساة الفلسطينية.

وفي بث لروح الأمل والتحدي أستطاع الشاعر أن يوظف قصة مدينة عكا وأحمد باشا الجزار[٢] والي عكا الذي صمد أمام هجمات جند نابليون على أسوار مدينة عكا، كرمز للصمود أمام العدو الصهيوني، فيقول :

لن يضحك في وجه القاتل باب الدار
ما دامت تتبرعم في قلبي العاشق
صورة ((عكا والجزار))..[٣]

لقد وظف الشاعر هذا الرمز عكا والجزار الدال على صمود الشعب، واستمد منه الأمل في تحقيق النصر، فصمود عكا أمام هجمات نابليون المعتدي، رمز لصمود الشعب في وجه العدو الصهيوني الغاصب، وهذا التوظيف الرمزي يساند رؤية القصيدة في بيان صمود أهل غزة وكل بلاد فلسطين، وعدم الاستسلام رغم الحصار الذي يعانون، فرمز عكا والجزار يدعم قدرة التحدي في نفوس أبناء فلسطين، وبالمقابل يعزز خوف الأعداء من يوم قادم يلج فيه المقاتلون بوابة النصر.

---

(١) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص ١٦ – ١٧.

(٢) محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٧٦.

(٣) المصدر ذاته، ص١٠٧.

وجاءت شخصية " شيلوخ أو شيلوك " رمزا للصهاينة الذين استوطنوا في فلسطين، في أرض ليست من حقهم، وشيلوك شخصية من قصة تاجر البندقية لشكسبير، فيقول :

ولقد خبأت في جعبة أوجاعي
قناديلي وزيتي وحنيني
لعيون لم تعد تذكر ما لون البريق
منذ أن حزت يدا "شيلوخ"
في أرضي شرايين النهار [١]

فقد استخدم الشاعر هذا الرمز شيلوخ وهو ذلك اليهودي الذي أراد أن يأخذ من لحم تاجر البندقية" انطونيو" ليبين أن الصهاينة قد نزلوا في أرض فلسطين ومزقوها بمستعمراتهم ولم يبقى للشعب سوى الحزن والألم وهم ينظرون إلى بلادهم التي استولى عليها الصهاينة بلا رحمة، وكذلك ورد هذا الرمز في قصيدة أخرى فيقول الشاعر :

"ماذا يا شيخ العرافين يضيرك
لو أنك علقت حجاب الفال الطيب
في عنقي المطلوب " لشيلوك" صباح مساء
ها أنت تقلب شيئا دمويا في كفيك
ها أنت تفك رموز الحزن القادم في عينيك [٢]

وهنا إشارة للحادثة بين اليهودي وتاجر البندقية كرمز يوحي بطابع الغدر والاستبداد الذي يتصف به الصهاينة، وإشارة لما تعرض له الشاعر من سجن ومصادرة لأعماله الأدبية من قبل الاحتلال الصهيوني، ويوحي الشاعر بتعلق الشعب بالأمل والحلم بالعودة إلى فلسطين وأن يسود الأمن والسلام والاستقرار إذا ما رحل العدو وحررت البلاد، واستخدام الشاعر للرمز "شيلوك" إنما هو تأكيد على أن اليهود منبوذين في العالم لما لهم من طباع تنم عن حقد وغدر، ويؤكد الشاعر على أن مصير الصهاينة في فلسطين هو كمصير اليهودي الذي خسر كل شيء نتيجة حقده وغدره، وأن الثورة لابد وأن تشتعل وتعود فلسطين أرض سلام وأمن.

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢) علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده**، مصدر سابق، ص ٩٣.

إن توظيف الشاعر للرمز في الشعر جاء لخدمة الغرض العام في القصيدة، ومكّن الشاعر من التحكم في رسم الصورة الفنية بما يتناسب و رؤيته، ويمكن هنا تحديد أهم ملامح الرمز في شعر البتيري :

١ ـ استخدم الشاعر الألفاظ استخداما رمزيا في الكثير من قصائده .

٢ ـ استقى الشاعر رموزه من الموروث الديني والتاريخي.

٣ ـ وظف الشاعر رموزه بما يخدم البناء الفني والموضوعي للقصيدة .

٤ ـ ارتبط الرمز بمواقف الشوق والأمل والحنين والكفاح الوطني للذود عن فلسطين.

٥ ـ ابتعد الشاعر في الرمز عن الغموض والمغالاة .

٦ ـ استخدم الشاعر الرمز بشكل واعي دون سيطرة الانفعال اللاشعوري عليه.

ثالثا: اللغة والموسيقى:

اللغة هي الوسيلة لنقل ما يخطر في النفس من مشاعر وتفاعل مع الواقع للمتلقي ، ومن خلال اللغة يستطيع الشاعر رسم صوره وعرض رؤيته في الغرض الشعري الذي يقرض عليه ويفيه حقه في تمام المعنى وجمال التصوير .

واللغة تحتوي مضامين كثيرة، ودلالات بعيدة، والشاعر المتمكن من اللغة يستطيع استخدامها على الوجه الذي يتناسب ورؤيته ويشير الجاحظ حول اتساع دلالة المعنى فيقول: " اعلم أن حكم المعاني بخلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية." [١]

ومن هنا فإن" لغة المبدع محمولة على تجربته الشخصية التي تحمل الإيحاء اللغوي والنفسي، فالمحيط اليومي، أو البيئة اليومية أقوى أسس الإبداع "[٢]، ومن خلال تجربة الشاعر الشخصية في معايشة الواقع الفلسطيني، عبّر بلغة تناسبت والمواضيع التي يطرحها ، لكونه يرسم صورا ناطقة بواقع الحال الفلسطيني الذي عاصره.

أما الشعر المعاصر فهو حركة تجديد مستمر دون التخلي عن أصالة الشعر العربي القديم، والشعر الحر شعر التفعيلة لون من ألوان التجديد على مستوى الوزن والقافية ، بل أصبح الدافع للتجديد في الجماليات الفنية في الشعر من صور ورموز وموسيقى، لاتسامه بالمرونة في تطويع المفردات وإجراءها لخدمة الفكرة دون الوقوف أمام معضلة التقيد بعدد التفعيلات والقافية.[٣]

والشعر ترابط في البناء اللغوي، وتناغم في الإيقاع الداخلي، وهذا ما عمل عليه البتيري في قرض شعره، حيث نوع في البناء إذ جاء شعره ما بين البناء السردي، والبناء الحواري، وأجرى الجرس الموسيقي في العبارات والألفاظ؛ ليشكل موسيقى شعرية تطرب لها الأسماع، وتجذب المتلقي لها؛ ليترنم على أنغام موسيقى تتراوح بين انفعال وهدوء حسب ما تقتضيه رؤية الشاعر في عرض أفكار القصيدة.

أ : البناء السردي :

البناء السردي يتضمن عناصر بناء القصة من: شخوص، وزمان، ومكان، وحوار، وحبكة، وصراع، واستطاع الشاعر أن يفيد من هذه العناصر، دون الخروج عن عالم الشعر والتزامه التفاعيل والموسيقى الداخلية في بناء قصائده على نسق البناء السردي مستخدما عناصر القصة بقالب شعري يخدم فكرة القصيدة ورؤية الشاعر، " فالبناء السردي باعتباره جزءا من

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، دار الجليل، بيروت، د.ت، ج١،ص٧٦.

(٢) يوسف عز الدين، **التجديد في الشعر الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية**، ط٢، دار المدى للثقافة والنسر، في سورية ولبنان والعراق، ٢٠٠٧م،ص٦٥.

(٣) راجع: نازك الملائكة، **قضايا الشعر المعاصر**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م.

بنية القصيدة، أبرز العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعانيها أبناء الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي"[١]، ومن هنا فإن البتيري استخدم هذا البناء لإبراز قضية مستمدة من الواقع، ولم يعمد إلى إبراز رؤية عصرية في بناء القصيدة الفني، فالقصيدة تصوير للواقع المعيش مع العدو الصهيوني.

"وإذا كانت الرواية بمفهومها العميق تعالج قضايا مختلفة، أو تسليط الضوء على قضية واحدة يستطيع الكاتب تفتيتها من خلال التلاقي بينها فإن التجديد في القصيدة المعاصرة أخذ هذه المعطيات بكل أبعادها من أجل تحقيق الهدف المنشود بطريقة السرد المباشر الذي تتبعه الرواية"[٢]، وقد أدرك البتيري معطيات العصر ووظفها من خلال تمكنه من اللغة للإبداع داخل النص دون قلق أو تفتيت، واعتماده على التلاقي رغم تباعد الأزمنة، وتنوع الشخصيات.

ونموذج على البناء الروائي السردي قصيدة بعنوان:" صفوان الحارس"[٣] من ديوان "*المتوسط يحضن أولاده*"، حيث تظهر شخصية صفوان الحارس في قصة شعرية تعبر عن واقع الاحتلال الصهيوني، فيقدم الشاعر للقصة بتعريف الشخصية، فيقول:

تعرفه في الليل الفاحم كل قناديل الغرباء
تترقب رجعته قامات بيادرنا المحنية تحت سياط الريح
تتخطف هيئته
ذاكرة الجرح اليابس في شجر الصحراء
.....
حارس قريتنا
مصلوب بين الطيب والكذب الخائن
فنبؤته الأولى
مهما اغتسلت بالمطر الطيني
ستبقى في جلد القرية وشما
يفصح عن وجع الأشياء"

فالشاعر يقدم لهذه الشخصية الآتية من البعيد، فيعطي أبعادها وملامحها التي ستكون محور القصة، ويأخذ دور الراوي لهذه القصة مبينا الأحداث التي تدور حول الشخصية، فيقول:

---

(١) يحيى زكريا الأغا، **البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٢) المرجع ذاته، ص٣٣٩.

(٣) علي البتيري، **المتوسط يحضن أولاده**، مصدر سابق،ص ٧- ١٦.

ما بين الليلة والأخرى
صفوان الحارس كان يصور فوق نوافذنا الغربية
أسراب عصافير قتلى وبنادق صيد...
ما بين الغفوة والأخرى
صفوان الحارس
كان يحذر أحلام الفلاحين المبتهجين على
مصطبة السامر من ريح تتأبط نارا
لتعيد إلى آلهة الخصب طقوس القيد
يا ما صفوان الحارس كان... وكان...

فالشاعر يجانس بين الشخصية والأحداث، وبين دور الشخصية والشخصيات الأخرى، من خلال سرد أحداث القصة، استطاع رسم ملامح الحياة الفلسطينية الآمنة قبل الاحتلال وما يسودها من سعادة وفرح وانشغال عن قدوم عدو غاصب، ويترك الشاعر الكلام مفتوحا عن تنبيه الحرس للفلاحين من خلال الفعل كان الذي تكرر في المقطع وأتبعه بنقاط للدلالة على أن الاحتلال لم يكن وليد لحظة بل خطط له، ويستمر الشاعر في بيان انشغال الشعب الفلسطيني عن مجريات الأحداث، فيقول :

صفوان الحارس يبكي من هول الحزن القادم، ويقول :
ما أقسى أن تتيبس ضحكات الأطفال
على جذع الفرح المشلول
ما أوجع أن تتجرح أنفاس (الدلعونة)
في حلق (اليرغول)
يسمعه المختار المتثائب في صدر الفرحة
ينهره بعصا الزيتون (المهيوبة)
ينهض شيخ من أعوان المختار يصيح :
يا (ولداخ)
صابئة، فارغة ، مغرضة هذه الأكذوبة
فلحتنا آمنة
وجبال القرية تحمينا من هجمات الريح
فلتغرق سفن العالم ...

ويبرز الحوار عنصرا مهما في القصة، حيث وظفه الشاعر لسرد أحداث القصة والتلاقي بين هذه الأحداث، ويسرد الشاعر قصته بلغة تناسب الشخصيات المستخدمة في القصيدة وهي الفئة الشعبية مع بيان لمظاهر الطبقية في المجتمع على بساطته فشخصية المختار تمثل طبقة السادة، وأعوانه فئة المتملقين في كسب رضا سادتهم دون وعي بما يدور من أحداث، وباقي الفلاحين هم الكادحين من الشعب وراء لقمة العيش، وصفوان هو المتمرد على هذه الأعراف والأكثر وعيا، واستخدام الشاعر بعض الكلمات المتداولة في اللهجة العامية الفلسطينية؛ ليبرز صدق الحالة التي يرسمها للواقع، وبساطة الشريحة التي تلعب دور الشخوص في القصة، كما استخدم الأغاني الشعبية من الفلكلور الفلسطيني لتعبر عن بساطة تفكير الشعب وانشغالهم عن الخطر القادم، وهذا الاستخدام يتناسب وإيقاع القصيدة ومنها قوله: " يا طير الطاير مع الغروب سلم ع لحارة الفيها محبوبي"، ثم ينتقل الشاعر لبين صدق ما تنبأ به الحارس، فيقول:

دهمتنا الريح الممصولة موتا

نارا

طاعونا

جوعا وبكاء

ألقت بمناجلنا المذعورة في الوحل

أرتعدت أوصال خوابينا

وتناسل حزن النسوة في الأرحام مع الأطفال..

وتظهر ملامح رؤية الحارس من خلال سرد الشاعر للأحداث ورسم صورة الموت، والصور التي تعبر عن الواقع، حيث ساد الجوع والبكاء على ما مضى من فرح وخير غدا في قبضة يد الغاصب المحتل، فباستخدام هذه الألفاظ الدالة على أعمال المحتل يبين الحال التي وصل لها الشعب الفلسطيني الذي كان في غفلة عن مجريات الأحداث،" ثم برز التكثيف الزماني والمكاني والتشخيص صورا مساعدة من الواقع تتصل بالتجربة وصولا بالنص لهذه البنية الفنية اللغوية القائمة على التجديد في بنية النص الداخلية". [١]

ويختم الشاعر القصيدة من خلال أسلوب سردي لحال الشخصية، والتغير الذي أصابها، فيقول :

صفوان الحارس

ما لك تتنحى كالعادة عن مجلسنا

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣٢.

لتعاقر صوتك في ليلة شرب مشهودة
ما عدت طريد مسامعنا
قل شيئا
يوقظنا من غابة حلم تتراكض فيها
غزلان الفرح الوهمي..
قل شيئا يمسح دمعة قريتنا الموؤدة
.....
قل شيئا يفصح عن حرب باردة
.....
فتوهج قنديل دم مغروز في خاصرة الظلماء
يجلو صدأ الرؤية عن أعيننا
على هياكلنا المسنودة تنهض من قاع اللحد المفتوح
وتمشي...
تمشي...
تمشي...
فوق جسور الظمأ القاتل دون فرار
بالخطوات المنذورة تحفر بين الغضب الطيب
والغضب الحاقد خندق نار

فمن خلال النمو الطبيعي للأحداث داخل القصة الشعرية أضاف للقصيدة عنصر التشويق، واستدعاء الشاعر من خلال الذاكرة لتداعيات الحياة الفلسطينية بأسلوب سردي روائي جعل من القصيدة صورة من صور المعاناة داخل الوطن، فالشاعر يظهر الصمت الذي سيطر على شخصية الحارس في نهاية القصيدة من خلال تكرار عبارة " قل شيئا"، ويبرز البعد الزماني والمكاني من خلال تكرار جملة " تمشي " التي أتبعها بنقاط .

والبناء اللغوي الفني للقصيدة يعتمد على قدرات الشاعر الفنية، وإمكاناته اللغوية القادرة على المزج والربط والتفتيت دون أن يؤثر في هيكل النص، ومعطيات اللغة من خلال أساسيات القصة، حيث ربط الشاعر بين الأحداث، وأظهر التداعيات المتصلة بالحدث، والشخصيات، والحوار الداخلي، و وازى بين العاطفة فنيا مع الحدث.

ب : البناء الحواري :

وهذا النوع من البناء يقوم على حوار بين شخصين أو أكثر في القصيدة، وتظهر فيه مقومات القصة التي وردت في البناء السردي، حيث يوظف الشاعر الحوار داخل النص لخدمة الغرض العام للقصيدة، ويعمل على إيصال الألفاظ في النص إلى درجة النضج الفني بما يتناسب مع الفكرة والحدث، ومن هنا فقد عمل الشاعر على استخدام البناء الحواري في قصائده، دون أن يؤثر في كينونة الموسيقى الشعرية القائمة على التفعيلة.

ونموذج على البناء الروائي الحواري قصيدة بعنوان " وردة في المنام"[١] من ديوان" لماذا رميت ورود دمي"، فتقوم القصيدة على حوار بين الشاعر و والده، فيقول :

قال لي والدي
ذات يوم عبوس حزين:
شفت ليلة أمس مناما
به آه يا ولدي!
انتحبت زهرة الياسمين..
على تلّة أكلت عشبها في منامي
تجمهر حولي رجال كثيرون
راحوا يعزونني في أبي
وأبي مات يا ولدي
منذ خمسين حزنا
وغنت على قبره قبّرات السنين

اعتمد الشاعر في بنائه للنص على الحوار الذي دار بينه وبين والده، ووظف الشاعر عناصر الرواية في قصيدته فظهر منها شخصية الوالد التي تمثل طرفا في الحوار، حيث أخبر الشاعر بالرؤيا التي حضرته في المنام، مستخدما الصور الفنية لرسم الواقع الذي ينتابه الدمار والقحط والهلاك، والتكثيف الزماني والمكاني من خلال الألفاظ الدالة على الزمن (يوم، ليلة، خمسين، السنين، تلّة، قبر)، ومن خلال الأحداث أبرز الشاعر صورة واقعية في اشتراك الشعب في المصاب وأن العزاء الوحيد لهم هو الصبر .

---

(١) علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي**، مصدر سابق، ص٥٦- ٥٧.

ويدور الحوار بين شخصية الوالد و شخصية ولده الفنية، فيبرز ملامح الشخصية من خلال الصور، حيث رسم نبرة الصوت الخافت الذي يتناسب ومقام الشخصية في القصيدة، وبعد طول في التفكير الذي مثل الحبكة في القصيدة كعنصر من عناصر الرواية ينطلق دور الشاعر في التعبير عن الفكرة ورؤيته، فيقول:

بعد حين من الصمت
فكرت في ما رآه أبي
في المنام الأخير..
قلت همسا
وكفي تعالج في شرفة القلب
ضعف السراج المنير:
فهمت الذي ليس يفهم
في حلمك المأتمي
ستورثني يا أبي وردة من جراحك
تبكي عليّ
وتحسبني بعد موت ينام ويصحو
على جسر روحي
هلكت وحيدا
وتحسب أني مشيت وراء البياض
بقافلة الميتين

فمن خلال الحوار تبرز شخصية الابن الذي يعيش الواقع بما فيه من خوف سيطر على نفسيته من خلال عبارة (قلت همسا)، الخوف الذي تحمله رؤيا الوالد التي ترمز لواقع الحياة التي يعيشها أبناء فلسطين، وعمل الشاعر على تطويع الحوار لنقل الفكرة والتفاعل معها من خلال الصور الفنية دون الغلو في هذا التطويع، حيث جاءت الألفاظ في نسق لغوي يتناسب والموقف الذي وضع الشاعر الشخصية فيه لتؤدي الدور بأسلوب حواري واضح.

وقد ورد البناء الحواري في الكثير من قصائد الشاعر، وأخذ طابعا حيث كان الحوار يدور بين الشاعر وذاته، أو الشاعر وعضو من جسده وظفه توظيفا رمزيا، ونموذج على هذا يتخذ

الشاعر من القلب رمزا لفلسطين، فيحاور الشاعر قلبه في قصيدة بعنوان: " وردة الاعتراف " من "ديوان شبابيك أتعبها الانتظار"[1]، فيقول :

ثلاثون عاما
تُفتّت قلب الطريق
وأنت تعيد لنبضك
ذاكرة الاحتراق

فأخذ الشاعر من الزمن مدخلا لقصة شعرية يستعيدها من الذاكرة؛ ليستمد معالم الوطن، وأدار الحوار فيها بينه وبين قلبه، فمن خلال هذه المقدمة ينتقل الشاعر إلى جو النص ليبرز الفكرة، فيقول:

سألتك يا قلب:
كم مرة طاردتك الرياح
التي تشتهيك غبارا
على طرقات القلوب اليتامى؟
سألتك كم مرة
أخطأتك وأنت تراوغها
داخلا هاربا
من توابيت
هذا الزمان المحنط عاما.. فعاما..؟

وهذا هو السؤال الذي يمثل بوح الشاعر عن مكنونات نفسه تظهر فيه نبرة كلامية عالية تعبر عن العتاب، وحالة الاغتراب النفسي، والبعد عن الوطن في عالم التشرد، وتضجر الشاعر من الواقع الذي جعله في حالة من اليأس ناتج عن طول الأمد في الانتظار، حيث رسم الزمن بالجامد من خلال تكرار المشاهدات التي صورها الشاعر دون تغيير وتقدم في حلم العودة، فقد أوقف الشاعر عجلة الزمن، من خلال الصورة التي تتراوح ما بين المحسوس واللامحسوس، والمراوغة بدلالة الألفاظ التي جعلت من لغة الشاعر في منطقة وسطى تقترب من الإفصاح ولا تفصح وتقل عن الإبهام ولا تبهم، و ينتقل الشاعر إلى مقطع آخر ليبين النضال الذي يبذل لتحقيق حلم العودة، فيقول :

---

(١) علي البتيري، **شبابيك أتعبها الانتظار**، مصدر سابق، ص٧٧- ٧٩.

سألتك يا قلب
كم شمس عيد
وراء تلال الضباب اختفت
مذ رأتك على
حائط الوقت
ترسم وجه الخلاص
فيأبى عليك ارتساما ..؟

فمن خلال تكثيف عناصر القصة، وإعمال الحوار الذي تملك زمامه الشاعر، وطرح الأسئلة دون سماع للإجابة التي أوحى بها الشاعر، ومن خلال الصور والألفاظ، استطاع الشاعر الربط بين الفكرة والأحداث؛ حيث عمل على إبراز صمت القلب وعدم البوح من خلال غياب الدور في الرد على الشاعر أثناء الحوار، وذلك لخدمة غرض القصيدة في نقل أفكارها ورؤية الشاعر بيسر ووضوح، فجعل الشاعر من الصمت ردا بالتأكيد على صدق الصور التي يرسمها للواقع، وتعبيرا عن انفعاله ومجريات الأحداث، وبأسلوب قسم يطلب الشاعر من قلبه الرامز لفلسطين النهوض من عالم الغفلة والانحطاط، فيقول :

سألتك يا قلب
قم من سرير الضلوع
وقدم معي وردة الاعتراف
ببهجة هذا الصباح المتوج بالعيد
حاول معي رغم هذي الدموع ابتساما
لعل الحبيبة تطلع
من بسمة العيد كالصبح
تلثم فيك الجراح وتحضن من شدة الشوق وردا
على العتبات ترامى..

ومن خلال البناء الحواري الذي دار بين الشاعر وذاته، استطاع إيصال الفكرة، موضحا أهمية أن يبقى الأمل بالفرح واللقاء من جديد، بعد اليأس الذي سيطر على بداية القصيدة؛ ليصل إلى مرحلة التعلق بالانتفاضة وحلول السلام والأمن للوطن، ومن هنا كشف الشاعر العلاقة النصية للفظة "العيد" وشحنها بمعاني جديدة عن طريق الإيحاء بالفرج والخلاص الذي ينتظره شعب فلسطين.

ج ـ الموسيقى الشعرية:

الشعر الحر لون من ألوان الشعر له قواعده الخاصة التي تميزه عن الشعر العمودي الذي يعتمد بحور الشعر التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، فالشعر الحر " يتناول الشكل الموسيقي للقصيدة ويتعلق بعدد التفعيلات في الشطر، ويعنى بترتيب الأشطر والقوافي، وأسلوب استعمال التدوير والزحاف والوتد وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة". [١] والشعر الحر هو:" الذي يعتمد على التفعيلة العروضية، وبصورة خاصة على الأوزان الصافية "[٢] التي تعتمد التفعيلة الواحدة.

وتمثل الموسيقى الشعرية العنصر الرئيس في التمييز بين الشعر والنثر، "فالشعر فن يستعمل الكلمات والموسيقى ليكشف عن الحقائق التي سجلتها الحواس وبعثتها المشاعر وأدركها العقل، ورسخها الخيال "[٣]، ومن هنا فإن الموسيقى الشعرية هي البناء الذي يميز الشعر.

وكان البتيري ميالا لكتابة الشعر الحر، واعتمد في الكثير من شعره على البحور الصافية التي تعتمد تفعيلة واحدة في السطر الشعري، والجملة الشعرية "هي الصورة المتطورة عن صورة السطر الشعري، فإذا كان للسطر الشعري بنية موسيقية تشغل من حيث الحيز سطرا من القصيدة، يصل امتداده الزمني في بعض الأحيان وفي أقصى الحالات إلى تسع تفعيلات، وإذا كانت هذه البنية مكتفية بذاتها وإن مثلت جزئية ترتبط موسيقيا بباقي الجزيئات وتتفاعل معها، فإن الجملة الشعرية بنية موسيقية أكبر من السطر وإن ظلت محتفظة بكل خصائصه، فالجملة تشغل أكثر من سطر وقد تمتد أحيانا إلى خمسة أسطر أو أكثر"[٤]، وهذا مقطع من قصيدة تبين شكل السطر الشعري عند البتيري، فجاءت على تفعيلة البحر المتدارك (فاعلن فاعلن) فيقول :

من هنا اختطفت ريحهم طفلتي *فاعلن / فعلن / فاعلن / فاعلن*

واستطابوا رغيف المنافي المدور في *فاعلن / فاعلن / فاعلن / فعلن*

وجهها. *فاعلن/*

---

(١) نازك الملائكة، **قضايا الشعر المعاصر**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م، ص٦٧.

(٢) يوسف عز الدين، **التجديد في الشعر الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية**، ط٢، دار المدى للثقافة والنسر، في سورية ولبنان والعراق، ٢٠٠٧م،ص١٠٧.

(٣) قول: ل بابت دوج، نقلا عن المرجع السابق ذاته، ص٤٨.

(٤) عز الدين إسماعيل، **الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، مرجع سابق، ص١٠٨

وكتب الجملة الشعرية على تفعيلة البحر المتقارب (فعولن فعولن) فيقول :

خذيني *فعولن/*

لجنة تلك الديار التي *فعول / فعولن/ فعولن/ فعو*

ضيعتني صغيرا *لن / فعولن / فعولن*

وتناول الشاعر هذه البحور، واخذ بالتدوير؛ لكونه يعطي السطر الشعري اتساعا في رسم الصورة والتعبير بشكل يخدم الفكرة، كما في الشعر العمودي .

وامتازت قصائد البتيري بالجرس الموسيقي الذي استطاع الشاعر توظيفه لخدمة الغرض في القصيدة، مما جعله يشحن الألفاظ بالمشاعر الانفعالية، فتبدو القصيدة نابضة بالحماس والثورة، ومن أمثلة ذلك الجرس الموسيقي الذي تنطق به الألفاظ في هذا المقطع:

في القدس
من تنهيدة الحجارة القديمة
من تحرق الأجراس
من توجع المآذن السجينة
من موقد الجراح في جوانح المدينة
تمردت على رطانة الحصار صرخة
مفجوعة.. يتيمة..
راحت تثور كالبارود في
أزقة المسامع الحزينة [١]

فالألفاظ(تنهيدة، الأجراس، المآذن، صرخة، مفجوعة، تثور، البارود) تحمل صوت وظفه الشاعر بداية بالصوت الخافت في التنهيدة، وتدرج بالموسيقى الصوتية الموحية بقيام ثورة إلى أن وصل بها إلى الصرخة المفجوعة، وتلاها صوت الثوران، فهذا الاستخدام أضاف للقصيدة موسيقى داخلية ذات طابع يتناسب ورؤية الشاعر في نقل وتصوير معاناة أهل القدس وثورتهم للدفاع عن وطنهم، فالموسيقى الداخلية جعلت من الصورة مسموعة، وتعبر عن دفقة شعورية.[٢]

واستخدم الشاعر الجرس الموسيقي الداخلي من خلال تركيب العبارة ، حيث جعل من العبارة توحي بما يكنه الشاعر من أحاسيس، وجعلت الموسيقى العاطفة موارة في النص، ومن خلال التكرار في العبارة ظهر الجرس الموسيقي بشكل يشوق المتلقي للغوص في عمق القصيدة ؛

(١) علي البتيري، لوحات تحت المطر، مصدر سابق، ص٢٢.

(٢) انظر المرجع السابق، ص١٠٩

للتعرف إلى ما وراء العبارة المكررة،" فالتكرار من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دورا تعبيريا واضحا، فتكرار لفظة ما، أو عبارة ما، يوحي بشكل أولى بسيطرة هذا العنصر [المكرور] وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره"[١]، ويظهر هذا الجرس الموسيقي في عبارة تكررت في قصيدة بعنوان" أفق أبيض"[٢]

ألا أيها المدلجون إلى دمعة الأرض

لا توقفوا عربات الرحيل على جسر روحي

فهذه العبارة التصويرية بجرسها الموسيقي الموحد التي كررها الشاعر في مقاطع أخرى، وكأنها اللازمة في فقراته، وبث من خلالها روح التشويق للبحث وراء الخطاب الذي وجهه الشاعر للمتلقي، ومن خلال النداء يظهر البعد الموسيقي الموحي بالبعد المكاني الذي يخاطب الشاعر المتلقي منه، فيكرر هذا النسق في بناء العبارة ضمن جرس موسيقى واحد، فيقول في مقطع آخر:

ألا أيها العابرون تباعا إلى حسرة الأرض

لا تتركوا جمر عشقي القديم على الجسر

إذ تتركوني

وفي مقطع آخر يقول:

ألا أيها الذاهبون إلى آخر الحزن

أو آخر الموت

لا تحملوا دمعتي معكم

واحملوا وردة من دمي

وفي المقاطع الأخرى يقول:

ألا أيها الصاعدون إلى جبل الذكريات..... ألا أيها الذاهبون إلى عرس ورد وليلى.....

ألا أيها الراكضون إلى جثة نسيتها القبائل..... ألا أيها الواقفون على دمع أمي.....

ألا أيها الشاهدون على غربة القلب والروح.....ألا أيها الداخلون إلى مأتم الأرض.....

ألا أيها الداخلون إلى تربة العشق.....

فمن خلال هذا التكرار في نسق العبارة عبر المقاطع استطاع الشاعر أن يبرز مشاعره.

---

(١) علي عشري زايد، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**،ط٣، مكتبة الشباب، القاهرة،١٩٩٧م،ص٦٥.

(٢) علي البتيري، **لماذا رميت ورود دمي**، مصدر سابق، ص٥-١٤.

تجاه الوطن، وحلم العودة الذي يحلم بتحقيقه أولئك المشردون في بقاع العالم، وهذا الإيقاع الصوتي في النداء بصيغة الجمع يعبر عن النفس الحزين الذي يسيطر على الشاعر من بداية القصيدة إلى أن ختمها.

وتظهر الموسيقى الداخلية في قصائد الشاعر من خلال استخدامه لألوان البديع بشكل عفوي لا تكلف فيه ومن ذلك قوله:

ارفعوا المائدة
ففي الجوار رائحة من دمي سائدة
وفي كل صحن شهي
أرى جثة هامدة
ولحمي المكابد رعب الكلاليب في المدن
الجاحدة
يطير برقية ويقول
وفي الدم قرع الطبول
لك الآن أن تستفز لعاب السيوف
وتكشف للريح جمر الضيوف
فإن لم تصح يا حبيبي: ارفعوا المائدة [١]

فمن خلال الجناس القائم بين الكلمات(مائدة، سائدة، هامدة، جاحدة) و(يقول، الطبول) و(السيوف، الضيوف)، استطاع الشاعر أن يضع موسيقى تترنم معها الأسماع في القصيدة، وهذا النوع من الموسيقى يجعل من القصيدة تتسم بطابع الغنائية، والغنائية سمة لازمت الشاعر في الكثير من قصائده.

ويستخدم الشاعر قدرته على الإتيان بالقافية في الأسطر الشعرية وموزعة عبر قصيدة التفعيلة، ومنها قوله:

بالأمس يا عروس خاطري الأسيرة
يا مرفأ الهوى
يا أمي الكبيرة
.....
فيولد اللقاء من جديد

---

(١) علي البتيري، **شبابيك أتعبها الانتظار**، مصدر سابق، ص١١٨.

وحسبنا يا قريتي أن يولد اللقاء من جديد
عيناك يا بتير جدولا حنان
عيناك للغريب في بوابة الظلام فرقدان
عيناك فيهما نقاوة الحقول والجنان
وفيهما انتفاضة أصيلة على مواسم الهوان
عيناك مشعلان يصهران حملة الجليد..
عيناك..
في عباءة الهموم جمرتان [٢]

فهذا الاستخدام للقافية يضفي جرسا موسيقيا على القصيدة، ويعطي للنص بعدا في ارتباط النص جذور الشعر العربي، كما أن التنويع في الجرس الذي ينهى به سطور القصيدة، يضفي عليها طابع الغنائية، والترنم عبر الموسيقى التي توحي بها القصيدة .

---

(٢) علي البتيري، **لوحات تحت المطر**، مصدر سابق، ص٦٥- ٦٧.

- راجع حول الموسيقى الشعرية، عز الدين إسماعيل، **الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، مرجع سابق، ص٤٣- ص١٢٣.

الخاتمة

فقد اعتمدت هذه الدراسة على البحث، والتنقيب، والاستقراء، والتحليل لإلقاء الضوء على شعر الشاعر علي البتيري على اعتبار أنه واحد من الشعراء المميزين في الأردن، حيث اعتمدت على تأمل النصوص من الداخل بوصفها نسيجا لغويا يجسد رؤية الشاعر، ونظرا للتقسيم الذي فرضه الشاعر على نفسه بتوجيه قصائده للكبار وللأطفال، إذ يعد من الأدباء الذين كان لهم إسهامات كبيره في أدب الأطفال في الأردن، فقد تناولت الدراسة شعر الشاعر الموجه للكبار، وشعره الموجة للأطفال من حيث الموضوعات والبناء الفني، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أوردها في النقاط التالية:

١. لم يكن علي البتيري شاعرا فقط، بل كان كاتبا مبدعا في كتابة المسرحية والمقالات الصحفية.

٢. لقد كان للأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي أثر واضح في شعره، مما أسهم في حمله لواء القضية الفلسطينية.

٣. يرتكز شعر البتيري الموجه للكبار حول قضية فلسطين، فهو تعبير عن واقع الحياة الفلسطينية و أحوال الفلسطينيين، فعبر عن فلسطين أرضا، وشعبا، ونضالا.

٤. تناول البتيري في شعره تفاصيل حياة الشعب الفلسطيني في فلسطين تحت وقع المعركة الدامية، و في بلاد المنفى والتنقل في بقاع الأرض دون وطن أو هوية.

٥. تصوير الشاعر للانتفاضة و نتائجها المرجوة، وحث الشعب على التمسك بالوطن والصمود وبث روح الحماس.

٦. رسم الشاعر حلم العودة بصور توحي بأنه حلم كل فلسطيني أبعد عن وطنه، ومبينا مدى تمسك الفلسطيني بهذا الحلم و ديمومته عبر الأجيال.

٧. غزارة شعر البتيري الموجة للأطفال، وتنوع الموضوعات فيه، حيث جاءت موضوعاته في المجالات الآتية: الشعر الوطني، والشعر الاجتماعي، والشعر التعليمي.

٨. قدرة البتيري على أن ينمي القيم الأخلاقية لدى الأطفال، والقيم الاجتماعية من خلال قصائده، وضمن أسلوب ممتع يتسم بالتشويق.

٩. كتابة الشاعر القصة الشعرية خاصة في الشعر الموجه للأطفال، وتناوله لعدد من الحكايات ضمن إطار شعري.

١٠. استمد الشاعر صوره الشعرية من واقع الحياة الفلسطينية، بتفاصيلها ومجريات الأحداث وامتزاجها ببعض الرموز الموحية برؤية الشاعر.

١١. تشكل الصورة لدى البتيري مرتكزا يبني عليه القصيدة من خلال صور جزئية تتجانس لتشكل الصورة الكلية في القصيدة.

١٢. التكثيف ما بين عناصر الصورة الشعرية من حركة و صوت و لون، و تميزها ببعض الانفعالات المشحونة بالثورة .

١٣. توظيف الشاعر للرمز على مستوى الألفاظ، والرموز الدينية ، والرموز التاريخية توظيفا يتوافق وأفكار الشاعر تجاه قضية فلسطين، والإيحاء بالأمل والتحرير وابتعد الرمز عن الغموض و المغالاة.

١٤. تنوع البناء الفني للقصيدة الشعرية، من السردي إلى الحواري، ومنح القصيدة أبعادا جمالية إبداعية، يوسع من خلالهما دائرة الصراع و المعاناة.

١٥. واكب الشاعر التجديد في الشعر الحر في الموسيقى الشعرية، وجمع بين الكتابة على نسق السطر الشعري و الجملة الشعرية.

١٦. تنوع بناء الموسيقى الداخلية في النصوص فاعتمد الشاعر على جرس الألفاظ، والتراكيب، وبعض المحسنات البديعية مع عدم الغلو فيها، وتنوع القافية في السطر الشعري.

١٧. اتسمت قصائد الشاعر بالغنائية، فجمله الشعرية غنية بالإيقاع الموسيقي وخاصة في شعر الأطفال، حيث أن التغني بالقصائد يولد لدى الأطفال التعلق بها والترنم على أنغامها.

هذا ما خلصت له بعد الدراسة والتحليل للقصائد، وأشعر أنني لم أفِ شعر البتيري حقه من التحليل والتفسير لغزارته، وغناه بالظواهر التي تقتضي للدراسة بحثا مطولا، لكنني حاولت جاهدا تكثيف العمل على هذه الدراسة، وآمل أن تكون هذه الدراسة قد قدمت بعضا مما يحتاج إليه البحث العلمي في الشعر الأردني، وأن يكون فيها العون لكل من يجتهد للبحث في هذا الشعر، وإضافة لمكتبة الأدب الأردني.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

* القرآن الكريم.

١. البتيري، علي محمد،(ترتيب الدواوين حسب تاريخ النشر)

- لوحات تحت المطر ، المطبعة الأردنية ، عمان ، ط١ ، ١٩٧٣ .
- المتوسط يحضن أولادة ، وزارة الأعلام والثقافة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨١ .
- القدس تقول لكم ، رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٣ .
- أطفال فلسطين يكتبون الرسائل ، دار الكرمل ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٦ .
- فلسطين يا أمي ، دار الكرمل ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٦ .
- صوت بلادي ، مطبعة الصفدي ، عمان ، ١٩٩٠ .
- الجد والأحفاد ، دار إيمان ، عمان ، ١٩٩٢ .
- شيخ فلسطين ، دار إيمان ، عمان ، ١٩٩٧ .
- العصفور الغريب وحكايات أخرى، دار البشير، عمان، ١٩٩٧م
- مهند يرفع العلم ، دار إيمان ، عمان ، ١٩٩٨.
- لماذا رميت ورود دمي ، دار البشير ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- شبابيك أتعبها الانتظار ، وزارة الثقافة ، عمان ، ٢٠٠٤م .
- نحن المستقبل ، مطبعة الخط العربي ، عمان ، ٢٠٠٦.

ثانيا:المراجع

١.أحمد، محمد فتوح، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، ط٣، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٤م

٢.الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق أحمد عبد العليم، ج١،الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب،القاهرة، د.ت.

٣.الأسعد، عمر، **أدب الأطفال**، ط١، عالم الكتب، اربد، الأردن، ٢٠٠٣م، ص١١٣-١١٥.

٤.إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦٧م .

٥.الأغا، يحيى زكريا، **جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر**،ط١، دار الثقافة، الدوحة قطر،١٩٩٦م.

٦.الأغا، يحيى زكريا، **إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر**،ط١، دار الثقافة، الدوحة قطر،١٩٩٧م.

٧.الأغا، يحيى زكريا، **البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر**،ط١، دار الحكمة، خان يونس، ٢٠٠٠م.

٨.أنيس،إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط** ،ط٢، ج١، القاهرة،١٩٧٢م.

٩.الأيوبي، ياسين، **مذاهب الأدب- معالم وانعكاسات الرمزية**،ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م،ج٢

١٠.البتيري، علي محمد، **هل أنا شاعر**، عروش الروح شهادات إبداعية، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان وزارة الثقافة كتاب الشهر ٥٧عام ٢٠٠٢م.

١١.البتيري، علي، **تجربتي في شعر الأطفال**، أوراق الملتقى الثقافي السادس، مؤتمر أدب الطفل الدولي ،الجامعة الهاشمية الأردن ٢٠٠٦م.

١٢.البصير، كامل حسن ، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.

١٣. البطل، علي ، **الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري**، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١م.

١٤. البغدادي، الشيخ عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب**، تحقيق، عبد السلام هارون ، ط٢،ج٢، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨١م.

١٥. التتونجي، محمد، **المعجم المفصل في الأدب**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

١٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، ج١، دار الجليل، بيروت، د.ت.

١٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ج٣، دار الجيل، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٨. الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٩٠م.

١٩. الحديدي، علي، **في أدب الأطفال**، ط٥، الانجلو المصرية، ١٩٨٩م.

٢٠. حمدان، يوسف عيسى، **أدباء أردنيون كتبوا للأطفال** في القرن العشرين، دار الينابيع، عمان،١٩٩٥م.

٢١. حمدان، يوسف عيسى، **أقحوان على ضفاف النهر الرحلة والقيثارة** ، شخصيات أدبية معاصرة ، عمان وزارة الثقافة .ج٢، ٢٠٠٥م.

٢٢. خفاجي، محمد عبد المنعم، **دراسات في النقد العربي الحديث ومذاهبه**، دار الطباعة المحمّدية ، القاهرة ، د . ت.

٢٣. ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي البصري،**جمهرة اللغة**،مكتبة الثقافة الدينية،ج٢، د.ت.

٢٤. دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢م ،ج٥.

٢٥. الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ط١، دار العلوم، السعودية، ١٩٨٤م

٢٦. الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط٢،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٩م.

٢٧. زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، ط٣، مكتبة الشباب، القاهرة،١٩٩٧م

٢٨. زكي، عماد، **أدب الأطفال والعام ٢٠٠٠**، بحث في كتاب أدب الأطفال في الأردن واقع وتطلعات، مجموعة أوراق عمل الندوة التي أقيمت في الفترة ما بين٢٣-٢٤اذار ١٩٨٨م، ط١، وزارة الثقافة ومؤسسة نور الحسين،عمان،١٩٨٩م.

٢٩. سيرنج، فليب، **الرموز في الفن، الأديان، الحياة**، ترجمة عبد الهادي عباس، ط١، دار دمشق،١٩٩٢م.

٣٠. شادي، محمد إبراهيم، **الصورة بين القدماء والمحدثين**،ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٩١م.

٣١. أبو شاور، سعدي، **تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر**،ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٢. شرايحة، هيفاء، **أدب الأطفال وكتباتهم**، ط١، مركز هيا الثقافي، عمان، ١٩٧٨م

٣٣. شرايحة، هيفاء، **واقع أدب الأطفال المحلي من أدب الأطفال عربيا**، بحث في كتاب أدب الأطفال في الأردن واقع وتطلعات، مجموعة أوراق عمل الندوة التي أقيمت في الفترة ما بين٢٣-٢٤اذار ١٩٨٨م، ط١، وزارة الثقافة ومؤسسة نور الحسين، عمان،١٩٨٩م.

٣٤. الشنطي، محمد صالح، **في أدب الأطفال أسسه وتطوره وفنونه وقضاياه**، ط١، دار الأندلس، السعودية، ١٩٩٦م

٣٥. الصائغ، عبد الإله، **الصورة الفنية معياراً نقدياً مع منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير**، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٣٦. أبو صبيح، يوسف، **المضامين التراثية في الشعر الأردني**،ط١، وزارة الثقافة، عمان الأردن،١٩٩٠م.

٣٧. العابد، إبراهيم، **دليل القضية الفلسطينية**، ط١، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٩م،ص١٥٥.

٣٨. عبد الرحمن، نصرت، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ط٢، مكتبة الأقصى، عمان،١٩٨٢م.

٣٩. عبد الله ، محمد حسن ، **الصورة والبناء الشعري**، دار المعارف، القاهرة، د٠ت.

٤٠. عبد المطلب، عمر إدريس، **حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي**، ط١، الجنادرية، عمان الأردن،٢٠٠٨م.

٤١. عبيد الله، محمد، **فلسطين في القصة القصيرة في الأردن من النكبة إلى الانتفاضة**، ط١، أزمنه للنشر والتوزيع،عمان الأردن،٢٠٠٢م، ص ١٠٢.

٤٢. أبوعرقوب، أحمد حسن، **الإبداع وشروطه في أدب الأطفال**، بحث في كتاب أدب الأطفال في الأردن واقع وتطلعات، مجموعة أوراق عمل الندوة التي أقيمت في الفترة ما بين٢٣-٢٤اذار ١٩٨٨م، ط١، وزارة الثقافة ومؤسسة نور الحسين، عمان،١٩٨٩

٤٣. عز الدين، يوسف، **التجديد في الشعر الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية**، ط٢، دار المدى للثقافة والنسر، في سورية ولبنان والعراق، ٢٠٠٧م.

٤٤. العزيزي، روكس بن زايد ، **الطفل في الأدب العربي**، بحث في مؤتمر الأدباء العرب العاشر بالجزائر،١٩٧٥م،كتاب مؤتمر الأدباء العرب العاشر، ج٣، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، ١٩٧٥م .

٤٥. عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٤٦. عطيات، محمد عبد الرحمن، **الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي**، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس، ٢٨ أيلول-٣ تشرين أول ١٩٩٦م، وزارة الثقافة، عمان،٢٠٠١م.

٤٧. عليان، ربحي مصطفى، **مكتبات الأطفال في الأردن**، بحث في كتاب أدب الأطفال في الأردن واقع وتطلعات، مجموعة أوراق عمل الندوة التي أقيمت في الفترة ما بين٢٣-٢٤اذار ١٩٨٨م، ط١، وزارة الثقافة ومؤسسة نور الحسين، عمان،١٩٨٩م.

٤٨. عوض، ريتا ، **بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس**،ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢

٤٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية،بغداد، ١٩٨٤م،ج٧.

٥٠. فرسون، سميح، **فلسطين والفلسطينيون**، ترجمة عطا عبد الوهاب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٥١. فضل، صلاح، **خطاب الهوية القومية في الشعر المعاصر في المشرق العربي**، دراسة في كتاب،الهوية القومية في الأدب العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٩٩م.

٥٢. فهمي، ماهر حسن، **الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث**، معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٧٠.

٥٣. قطامي، سمير، **الشعر في الأردن**، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ١٩٩٣م.

٥٤. القط، عبد القادر، **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي**، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨١م .

٥٥. كتاب الجزيرة، "**الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة** "، الدار العربية للعلوم طبعة مصر ٢٠٠٤م

٥٦. كيوان، عبد العاطي، القيم الإنسانية في أدب الأطفال،ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٠٩.

٥٧. المجالي، جهاد شاهر، **الإبداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي والنقد الحديث**، ط١، دار يافا، عمان الأردن، ٢٠٠٨م ٠

٥٨. المحامي، محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م.

٥٩. محمود، حسني، **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه** ،ج٣، في المنفى ١٩٤٨-١٩٦٧، الدار العربية، الأردن،١٩٨٤م.

٦٠. المصلح، أحمد، **ملامح عامة للحياة الثقافية في الأردن ١٩٥٣-١٩٩٣**، فصل أدب الأطفال، منشورات لجنة تاريخ الأردن-المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، ١٩٩٥م.

٦١. المصلح، أحمد، **أدب الأطفال في الأردن ١٩٧٧-١٩٩٨ دراسة تطبيقية**، ط٢، وزارة الثقافة، عمان،١٩٩٩م.

٦٢. مطاوع، سمير، **الأردن في حرب ١٩٦٧**،ط١، عمان،١٩٨٨م.

٦٣. الملائكة، نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م.

٦٤. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، م٥، د.ت.

٦٥. منيف،عبد الرحمن، **الكاتب والمنفى هموم وأفاق الرواية العربية**، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ١٩٩٤م.

٦٦. ناصف، مصطفى، **الصورة الأدبية، دار الأندلس**، بيروت الطبعة الثالثة، ص ١٩٨٤م.

٦٧. نافع، عبد الفتاح صالح، **الصورة في شعر بشار**، د. ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ، ١٩٩٨م.

٦٨. النجار، عبد الفتاح، **التجديد في الشعر الأردني ١٩٥٠-١٩٧٨م** ، ط١، دار ابن رشد، عمان، ١٩٩٠م.

٦٩. نجيب، أحمد، **المضمون في كتب الأطفال**، دار الفكر،مصر،د.ت.

٧٠. هلال، محمد غنيمي ، **النقد الأدبي الحديث**، دار نهضة مصر، القاهرة، د٠ت.

٧١. هلال، محمد غنيمي ، **دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده**، دار نهضة مصر، القاهرة، د٠ت.

٧٢. اليافي، نعيم حسن ، **مقدمة لدراسة الصورة الفنية**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢.

ثالثا: المجلات والصحف

١. الشحام، عبد الله، **قراءة في" لوحات تحت المطر"**، عمان المساء الأردنية، ١٩٧٣/٩/٢٢.

٢. أبو زيد، أحمد، **الطفولة**، مجلة الفكر، مجلد١٠، عدد٣، عدد خاص بالطفولة، الكويت، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر،١٩٧٩م.

٣. السوافيري، كامل، **مأساة فلسطين مصدر وحي وإلهام في الشعر الحدي**ث، مجلة الآداب، عدد٣، بيروت، ،آذار ١٩٦٤م.

٤. العدوان، أمينة، **محاولة لاستكشاف واستيطان وجه الإنسان والوطن الدامي**، صحيفة الرأي الأردنية،١٩٧٣/٩/١٥.

٥. علي، ناصر، **مفهوم الصورة الشعرية ومصادرها**، مجلة أفكار، عدد٢، وزارة لثقافة،الأردن، آذار٢٠٠٢م.

٦. عيسى، علي، **الشاعر علي البتيري في ديوان لوحات تحت المطر مليء بالخصب**، جريدة أخبار الأسبوع الأردنية،١٩٧٣.

٧. مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب في دمشق، عدد خاص بأدب الأطفال، حزيران،١٩٧٥م.

٨. زلوم، حمودة، **ديوان أطفال فلسطين يكتبون الرسائل للشاعر علي البتيري**، صحيفة الشعب الأردنية. ١٩٨٦/٤/٤م

٩. القيسي، محمد، من غربة كنعان حتى وعي المنفى – قراءة انطباعية في ديوان " المتوسط يحضن أولاده"، جريدة الرأي الأردنية ،١٩٨٢/٨/٢٢م

١٠. الكواملة، أحمد، **قصيدة الطفل عند الشاعر علي البتيري** ، الشعب الأردنية،عمان ١٩٨٧/٧/٩م

١١. البتيري، علي، **مقابلة** أجرتها معه صحيفة صوت الشعب الأردنية ١٩٨٣/١٠/٨م.

١٢. العيسى، سليمان، **مقابلة** أجرتها معه الرأي الأردنية، عمان،١٩٨١/١٢/١١.

١٣. أبو فروة، محمود الرجبي، **أدب الأطفال الأردني خطوات واثقة وأمل واعد**، مدونة مكتوب http://mrajaby.maktoobblog.com بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٨م.

رابعا: المقابلات الشخصية التي أجراها الباحث

١. مقابلة الباحث مع الشاعر علي البتيري في مركز زها الثقافي،عمان،٢٠٠٧/٣/٢٣
٢. مقابلة الباحث مع الشاعر علي البتيري في منزله،عمان،٢٠٠٧/٧/١٤
٣. مقابلة الباحث مع الشاعر علي البتيري في منزله،عمان،٢٠٠٧/١٠/١٥
٤. مقابلة الباحث مع الشاعر علي البتيري في منزله،عمان، ٢٠٠٨/٩/١٢

ABTRACT

The purpose of this research is to study the poetry of Ali Al-Battery from tow points view: thematic and technical .

There wasn't any earlier studies which studied only the poetry of Ali Al-Battery - thematically and what did he write about to adults and children.

- technically (The Symbol, the language, image and the musical /rhythm in his poetry.

This study came to give answers to the questions about his poetry such as:

1- How far is the social and cultural life affect Ali Al-Battery poetry?

2- What subject did he deal with in his poetry for adults?

3- What subject did he deal with in his poetry for the children ?

4- What is the thematic structure in the symbol, image and the language?

The study of the aspects in Al-Battery poetry divides the search to introduction and three chapters .the first chapter about the main subjects about his home land Palestine ,the second one for children and the third one is thematic study of the poetry of Ali Al-Battery .